الضَّحَّاكُ بن خليفة من ظهرِ البيت، فَانْكَسَرَتْ رجلُه، واقتحم أصحابُهُ فأفلتوا، فقال الضَّحَّاكُ في ذلك [من الطويل]:

كَادَتْ، وَبَيْتِ اللَّهِ، نَارُ مُحَمَّدٍ ... يَشِيطُ بِهَا الضَّحَّاكُ وَابْنُ أُبَيْرِقِ[1]
وَظَنَّتْ وَقَدْ طَبَّقْتُ كَبْسَ سُوَيْلِمٍ ... أَنُوءُ عَلَى رِجْلِي كَسِيراً وَمِرْفَقِي[2]
سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لاَ أَعُودُ لِمِثْلِهَا ... أَخَافُ وَمَنْ تَشْمَلْ بِهِ النَّارُ يُحْرَقِ[3] [١٠٥٩]

قال ابن إسحاق: ثم إنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ جَدَّ في سفره، وأمر الناس بالجهاز والانكماش، وَحَضَّ أَهْلَ الغِنَى على النفقة والحملان في سبيل الله، فحمل رجالٌ من أهل الغنى، واحتسبوا، وأنفق عثمانُ بنُ عَفَّانَ في ذلك نَفقةً عَظِيمةً لَم يُنْفِقْ أحدٌ مثلها [١٠٦٠].

نفقة عثمان بن عفان:

قال ابن هشام: حدثني من أَثِقُ به أَنَّ عثمان بن عَفَّان أَنْفَقَ في جيشِ الْعُسْرَةِ في غزوة تبوك أَلْفَ دِينارٍ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ، ارْضَ عَنْ عُثْمَانَ، فَإِنِّي عَنْهُ رَاضٍ» [١٠٦١].

[١٠٥٩] إسناده ضعيف؛ لجهالة شيخ ابن هشام وشيخ شيخه.
وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/ ٧) من طريق ابن هشام.

[١٠٦٠] أخرجه الطبري في «تاريخه» (٣/ ١٠٢) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٢١٤) من طريق ابن إسحاق به.
وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/ ٧) من طريق ابن إسحاق أيضاً.

[١٠٦١] إسناده ضعيف.
شيخ ابن هشام مجهول ثم هو معضل؛ لأن شيخ ابن هشام لم يدرِك هذه القصة.
والحديث ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/ ٧) من طريق ابن هشام.
أما قوله: «اللَّهُم ارضَ عن عثمان».
فذكره الهندي في «كنز العمال» (٣٢٨٤٢) عن يوسف بن سهل بن يوسف الأنصاري عن أبيه عن جدِّه.

---

(١) يَشِيطُ، أي: يَخترِق، يُقال: شاط يَشِيطُ: إذا التَهَب واخترَقَ.
(٢) طَبَّقْتُ: يعني عَلَوْتُ، كَبْسَ سُوَيْلِم: هو البيتُ الصَّغِيرُ، وقد رُوِيَ كَيْسَ بالياء، ورُوِيَ أيضاً كَيْثَر، والصَّحِيحُ كَبْسَ بالباء المنقوطَة بوَاحِدَةٍ من أسفلها والسِّين المهملة. أَنُوءُ، أي: أنْهَضُ مُتَثَاقِلاً.
(٣) ينظر: البداية والنهاية (٥/ ٧).

شأن البكائين:

قال ابن إسحاق: ثم إن رجالاً من المسلمين أَتَوْا رسولَ اللَّهِ ﷺ ـ وهم البكَّاءون، وهم سبعةُ نفرٍ من الأنصارِ وغيرهم: من بني عمرو بن عوف: سالمُ بْن عُمير، وعُلْبة بن زيد أخو بني حارثة، وأبو لَيْلَى عبدُ الرّحمٰن بن كعب أخو بني مازن بن النَّجّار، وعمرو بن حُمَام بن الْجَمُوح أخو بني سَلَمَةَ، وعبد الله بن الْمُغَفَّل الْمُزني، وبعض الناس يقولُ: بل، هو عبد الله بن عمرو المزني، وَهَرَمِيُّ بن عبد الله أخو بني وَاقف، وعِرْبَاض بن سَارِيَةَ الفزاري ـ فاستحملوا رسولَ اللَّهِ ﷺ، وكانوا أَهْلَ حَاجَةٍ، فقال: «لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ»، فَتَوَلَّوا وأَعْيُنُهُمْ تَفِيض من الدمع حَزَنًا ألا يجدوا ما ينفقون.

[قال ابن إسحاق]: فبلغني أن ابن يامين بن عمير بن كعب النَّضْري لَقِيَ أبا ليلى عبد الرَّحمٰن بن كعب وعبد الله بن مغفل، وهما يَبْكِيَانِ، فقال: ما يُبْكِيكُمَا؟ قالا: جئنا رسولَ اللَّهِ ﷺ ليحملنا، فلم نَجِدْ عنده ما يحملنا عليه، وليس عندنا ما نَتَقَوَّىٰ به على (٢٥٢/ ب) الخروج معه، فأعطاهما نَاضِحًا له[1]، فارتحلاه، وَزَوَّدَهُما شيئًا من تمرٍ، فخرجا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ.

قال ابن إسحاق: وجاءه الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الأعراب، فاعتذروا إليه، فلم يَعْذِرهم الله (تعالىٰ)، وقد ذُكر لي أنهم نَفَرٌ مِنْ بني غِفار.

تخلف بعض المسلمين:

ثم اسْتَنَّبَ[2] برسولِ اللَّهِ ﷺ سفرُهُ، وَأَجْمَعَ السَّيْرَ، وقد كان نَفَرٌ من المسلمين أَبْطَأَتْ بهمُ النِّيَّةُ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ حتى تخلَّفوا عنه، عن غير شكٍّ ولا ارتيابٍ، منهم: كَعْبُ بن مالك بن أبي كعب أخو بني سلمة، ومُرَارة بن ربيع أخو بني عَمْرو بن عَوْف، وَهِلاَلُ بن أُمَيَّةَ أخو بني واقف، وأبو خيثمة أخو بني سالم بن عوف، وكانوا نَفَرَ صِدْقٍ لا يُتَّهمُونَ في إسلامهم، فلما خَرَجَ رسولُ اللَّهِ ﷺ ضرب عسكره عَلَى ثَنِيَّةِ الوَدَاع [١٠٦٢].

[١٠٦٢] أخرجه الطبري في «تاريخه» (٣/ ١٠٢) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٢١٨ـ٢٢٠) كلاهما من طريق ابن إسحاق.
وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/ ٨ـ٩) من طريق ابن إسحاق.
وأخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٢/ ١٦٥) بنحوه.
وفي إسناده الواقدي وهو متروك. =

---

(١) فأعْطَاهُمَا نَاضِحاً لَهُ، الناضحُ: الجَمَلُ الذي يُسْتَقَى عليه الماءِ.
(٢) واستَنَّبَ، معناه: تَتَابَع واسْتَمَرَّ.

عامل رسول الله:

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة محمدَ بن مَسْلمة الأنصاريَّ، وذكر عبد العزيز بن محمد الدَّرَاوَرْدِيُّ[1] عن أبيه، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ استعمل على المدينةِ مَخْرَجَهُ إلى تبوك ـ سِبَاعَ بن عُرْفُطَةَ [١٠٦٣].

تخلف المنافقين:

قال ابن إسحاق: وضرب عبدُ الله بن أُبَيّ معه على جِدَةٍ عَسْكَرَهُ أَسْفَلَ منه نحو ذُبَاب[2]، وكان فيما يزعمون ليس بأقلّ العسكرين، فلما سار رسولُ الله ﷺ تخلَّفَ عنه عبدُ الله بن أُبيّ فيمن تخلّف من المنافقين وأهل الرَّيْب.

شأن عليّ بن أبي طالب:

وخَلَّفَ رسولُ اللَّه ﷺ عليَّ بن أبي طالب (رضوان الله عليه) على أَهْلِهِ، وأمره بالإقامةِ فيهم، فأرجف به المنافقون، وقالوا: ما خلفه إلا اسْتِثْقَالاً له وتَخفُّفاً منه، فلما قال ذلك المنافقون، أَخَذَ عليُّ بن أبي طالب (رضوان الله عليه) سِلاَحَهُ ثُم خرج حتى أتى رسولَ الله ﷺ، وهو نازلٌ بالْجُرْف[3]، فقال: يا نبيَّ الله، زعم المنافقون أنك إنما خَلَّفْتَنِي أنك اسْتَثْقَلْتَنِي وَتخَفَّفْت مني، فقال: «كَذَبُوا، ولَكِنَّني خَلَّفْتُكَ لِمَا تَرَكْتُ وَرَائِي، فَارْجِعْ فَاخْلُفْنِي فِي أَهْلِي وَأَهلكَ، أَفَلاَ تَرْضى يَا عَلِيُّ أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُون مِنْ مُوسَى، إِلاَّ أَنَّه لاَ نَبِيَّ بَعْدِي» فرجع عليٌّ إلى المدينة، وَمَضَىٰ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ على سفره [١٠٦٤].

= وينظر «الدر المنثور» (٣/ ٢٦٧) فقد عزاه السيوطي هناك لابن مردويه عن ابن عباس ومجمع بن حارثة بنحوه.

[١٠٦٣] ذكره الطبري في «تاريخه» (٣/ ١٠٣) عن ابن إسحاق.
وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/ ١١) عن ابن هشام.

[١٠٦٤] أخرجه الطبري في «تاريخه» (٣/ ١٠٤) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٢١٨ـ٢٢٠) كلاهما من طريق ابن إسحاق.
وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/ ١٠ـ١١).

---

(١) هذا هو الأصح في نسبه، وقد ذُكر في «نَسَبِ عبد العزيز بن مُحمَّدٍ» الأنْدَاوَرْدِيِّ. الدّراوَرْدي هو المشْهُورُ فيه.

(٢) نَحْوُ ذُباب: ذُبابٌ هنا: اسمُ مُوضعٍ.

(٣) الجُرُفُ: موضعٌ أيضاً.

قال ابن إسحاق: وحدّثني محمد بن طَلْحَةَ بن يزيد بن رُكانَة، عن إبراهيم بن سعد بن أبي وَقّاص، عن أبيه سعد، أنه سمع رَسُولَ اللّهِ ﷺ يقولُ لعليٍّ هذه المقالَة [١٠٦٥].

قال ابن إسحاق: ثم رجع عليٌّ إلى المدينة، ومضى رسول الله ﷺ على سفره.

شأن أبي خيثمة:

ثم إن أبا خَيْثَمَةَ رجع بعد أن سار رسولُ الله ﷺ أيّاماً إلى أَهْلِهِ فِي يوم حَارٍّ، فوجد امرأتين له في عَرِيشَيْن[1] لهما في حائطه، قدْ رشَّتْ كلُّ واحدةٍ منهما عَرِيشَهَا، وَبَرَّدَتْ له فيه ماءً، وهيَّأَتْ له فيه طعاماً، فلما دخل قام على بابِ العريشِ، فنظر إلى امرأتيه وما صنعتا له، فقال: رسولُ الله ﷺ في الضَّحِّ[2] والريحِ وَالْحَرّ، وأبو خَيْثَمَةَ في ظِلٍّ باردٍ وطعامٍ مُهيَّأ وَامرأةٍ حسناءَ في ماله مُقِيم!! ما هذا بالنَّصَفِ، ثم قال: والله، لا أَدْخُلُ عَرِيشَ وَاحِدَةٍ منكما حتى أَلْحَقَ بِرسُولِ اللّهِ ﷺ، فَهَيِّئا لي زاداً، ففعلتا، ثم قدَّم ناضِحَه فارتحله، ثم خرج في طلبِ رسولِ الله ﷺ حتى أدركه حين نَزَلَ تبوك، وقد كان أدرك أبا خيثمة عُمَيرُ بن وَهْبٍ الْجُمَحِيُّ في الطريق يطلبُ رسولَ اللّهِ ﷺ، فترافقا، حتى إذا دَنَوَا من تبوك قال أبو خيثمة لعمير بن وهب: إن لي ذَنْباً، فَلاَ عَلَيْكَ أَن تَخَلَّفَ عني حتى آتي رسولَ اللّهِ ﷺ ففعل، حتى إذا دَنَا من رسولِ اللّهِ ﷺ وهو نازلٌ بـ «تبوك» قال الناسُ: هذا راكبٌ على الطريقِ مُقْبِلٌ، فقال رسولُ الله ﷺ: «كُنْ أَبَا خَيْثَمَة» فقالوا: يا رسول الله، هو والله (٢٥٣/أ) أبو خيثمة، فلما أناخ أقبل فَسَلَّمَ على رسولِ اللّهِ ﷺ، فقال له رسولُ الله ﷺ: «أَوْلَى لَكَ يَا أَبَا خَيْثَمَةَ»[3] ثم أَخْبَرَ رسولَ اللّهِ ﷺ الخَبَرَ، فقال له رسولُ اللّهِ ﷺ خيراً،

[١٠٦٥] إسناده حسن والحديث صحيح.

وقد صرّح ابن إسحاق بالتحديث.

وأخرجه البخاري (٧/ ٤٣٤) كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ ـ حديث (٣٧٠٦) ومسلم (٤/ ١٨٧٠ـ١٨٧١) كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه ـ حديث (٣٠، ٣١/ ٤٢٠٤) وأحمد (١/ ١٧٩، ١٨٥) والنسائي في «الكبرى» (٥/ ١١٩ـ١٢٥) كتاب الخصائص: باب ذكر منزلة علي بن أبي طالب، وابن ماجه (١/ ٤٢ـ٤٣) المقدمة: باب فضل علي بن أبي طالب ـ حديث (١١٥) وابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٣/ ٢٤) وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٤٤) والبيهقي في «الدلائل» (٥/ ٢٢٠) كلهم من حديث سعد بن أبي وقاص.

---

(١) في عَرِيشَيْن لَهُمَا، العَرِيشُ هنا: شَبيهٌ بالخَيْمَةِ يُظَلَّلُ فيكون أبْرَدَ مِنَ الأخْبِيةِ والبُيوت.

(٢) في الضَّحِّ والرِّيح، الضَّحُّ: الشَّمْسُ.

(٣) أَوْلَى لَكَ يا أَبَا خَيْثَمَةَ، أَوْلَى: كَلِمَة فيها معنى التَّهديد وهي اسمٌ سُمِّي به الفِعْلُ، ومعناها فيما قال المفسّرون: دَنَوْتَ من الهَلَكَةِ.

وَدَعَا له بخيرٍ [١٠٦٦].

قال ابن هشام: وقال أبو خيثمة في ذلك شعراً، واسمه مالك بن قَيْس [من الطويل]:

لَمَّا رَأَيْتُ النَّاسَ فِي الدِّينِ نَافَقُوا ... أَتَيْتُ الَّتِي كَانَتْ أَعَفَّ وَأَكْرَمَا
وَبَايَعْتُ بِالْيُمْنَى يَدِي لِمُحَمَّدٍ ... فَلَمْ أَكْتَسِبْ إِثْماً وَلَمْ أَغْشَ مَحْرَمَا
تَرَكْتُ خَضِيباً فِي الْعَرِيشِ وَصِرْمَةً ... صَفَايَا كِرَاماً بُسْرُهَا قَدْ تَحَمَّمَا[1]
وَكُنْتُ إِذَا شَكَّ الْمُنَافِقُ أَسْمَحَتْ ... إِلَى الدِّينِ نَفْسِي شَطْرَهُ حَيْثُ يَمَّمَا[2] [١٠٦٧]

مرور النبي وأصحابه بالحجر وشأنهم فيه:

قال ابن إسحاق: وقد كان رسول الله ﷺ حين مَرَّ بِالْحِجْر نزلها واستقى الناس من بئرها، فلما راحوا، قال رسولُ الله ﷺ: «لاَ تَشْرَبُوا مِنْ مَائِهَا شَيْئاً وَلاَ تَتَوَضَّئُوا مِنْهُ لِلصَّلاَةِ، وَمَا كَانَ مِنْ عَجِينٍ عَجَنْتُمُوهُ فَاعْلِفُوهُ الإِبِلَ وَلاَ تَأْكُلُوا مِنْهُ شَيْئاً، وَلاَ يَخْرُجَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمُ اللَّيْلَةَ إِلاَّ وَمَعَهُ صَاحِبٌ لَهُ» ففعل الناسُ ما أمرهم به رسولُ الله ﷺ، إلاَّ أن رجلين من بني ساعدة خرج أحدُهما لحاجتِهِ، وخرج الآخرُ في طلب بعيرٍ له، فأما الذي ذهب لحاجته، فإنه خُنِقَ على مذهبه، وأما الذي ذهب في طلب بعيره فاحتملته الريح حتى طرحته بجبلَيْ طيء، فَأُخْبِرَ بذلك رسولُ اللَّه ﷺ، فقال: «أَلَمْ أَنْهَكُمْ أَنْ يَخْرُجَ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ وَمَعَهُ صَاحِبُهُ»؟ ثم دعا رسولُ الله ﷺ للذي أُصيب على مذهبه فشفي، وأما الآخر الذي وقع بجبلَيْ طيء فإن طيئاً أهدته لرسولِ الله ﷺ حين قدم المدينةَ، والحديثُ عن الرجلين عن عبد الله بن أبي بكر، عن عباس بن سَهْل بن سَعْدٍ السَّاعِدِي، وقد حدَّثني عبدُ الله بن أبي بكر أن قد سمَّى له العباسُ الرجلين، ولكنه استودعه إياهما، فأبى عبد الله أن يسميهما لي [١٠٦٨].

[١٠٦٦] أخرجه الطبري في «تاريخه» (٣/ ١٠٤ـ١٠٥) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٢٢٢ـ٢٢٣) كلاهما من طريق ابن إسحاق.
وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/ ١١ـ١٢) عن ابن إسحاق أيضاً.
[١٠٦٧] ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/ ١٢) من طريق ابن هشام.
[١٠٦٨] أخرجه الطبري في «تاريخه» (٣/ ١٠٥) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٢٤٠) كلاهما من طريق =

---

(١) الخَضِيبُ: المَخْضُوبَةُ بالحِنَّاءِ، والصِّرْمَةُ هنا: جماعةُ النَّخْلِ، وصَفَايا، أي: كَثِيرةُ الحَمْل، وَأَصْلُه في الإبل يُقال: ناقَةٌ صَفِيٌّ: إذَا كانت غَزِيرةَ الدَّرِّ، وجمعُها: صَفَايَا، والبُسْرُ: التَّمْرُ قبل أن يَطِيبَ، وَتَحَمَّمَ، أي: أَخَذَ في الإِرْطَاب فاسْوَدَّ.
(٢) أَسْمَحَتْ: انقادَتْ. وَشَطْرُهُ، أي: نَحْوُه وَقَصْده، ومنه قولهُ تعالى: ﴿شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾، وَيَمَّمَ: قَصَدَ. وينظر البداية والنهاية (٥/ ١٢).

قال ابن هشام: بلغني عن الزُّهْرِيِّ أنه قال: لمَّا مَرَّ رسولُ الله ﷺ بِالْحِجْرِ سَجَّى ثَوْبَهُ[1] عَلى وَجْهَهُ، وَاسْتَحَثَّ[2] راحلته، ثم قال: «لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتَ الَّذِينَ ظَلَمُوا إِلاَّ وَأَنْتُمْ بَاكُونَ؛ خَوْفاً أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَهُمْ» [١٠٦٩].

قال ابن إسحاق: فلما أصبح النَّاسُ ولا ماءَ معهم، شَكَوْا ذلك إلىٰ رسولِ الله ﷺ، فدعا رسولُ الله ﷺ، فأرسل الله (سبحانه) سحابةً فَأَمْطَرَتْ حتى ارتوى الناسُ واحتملوا حَاجَتَهُمْ من الماء [١٠٧٠].

قال ابن إسحاق: فحدثني عاصم بن عُمَرَ بن قَتَادَة، عن محمود بن لَبيد، عن رجالٍ من بني عبد الأشهل، قال: قلت لمحمود: هَلْ كان النَّاسُ يَعْرِفون النفاقَ فيهم؟ قال: نعم، واللَّهِ، إِنْ كَانَ الرجلُ ليعرفه من أخيه ومن أبيه ومن عمه وفي عشيرته، ثم يَلْبَسُ بَعْضُهُمْ بعضاً على ذلك، ثم قال محمود: لقد أخبرني رجالٌ من قومي، عن رجلٍ من المنافقين معروفٌ نِفَاقُهُ، كان يَسِيرُ مَعَ رسولِ الله ﷺ حَيْثُ سَارَ، فَلَمَّا كان من أمرِ النَّاس بِالحجْر ما كان، ودعا رسولُ الله ﷺ حين دعا (٢٥٣/ ب) فأرسل الله السحابةَ فأمطرت حتى ارتوى الناس قالوا: أَقْبَلْنَا عليه نقول: وَيْحَك!! هل بعد هذا شيء؟ قال: سحابةٌ مَارَّةٌ [١٠٧١].

= ابن إسحاق.

وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/ ١٤) عن ابن إسحاق.

[١٠٦٩] إسناده ضعيف؛ للانقطاع بين ابن هشام والزهري، ثم هو مرسل، ومراسيل الزهري خاصة ضعيفة.

لكن الحديث صحيح.

فأخرجه البخاري (٨/ ٤٦٨) كتاب المغازي: باب نزول النبي ﷺ الحجر ـ حديث (٤٤١٩) ومسلم (٤/ ٢٢٨٥ـ٢٢٨٦) كتاب الزهد والرقائق ـ باب: «لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم» حديث (٣٨/ ٢٩٨٠) وأحمد (٢/ ٩، ٥٨، ٧٢، ٧٤، ١١٣، ١٣٧) وعبدالرزاق (١٦٢٤، ١٦٢٥) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٢٣٣) وفي «السنن الكبرى» (٢/ ٤٥١) والطبراني في «الكبير» (١٢/ ٤٥٧) رقم (١٣٦٥٤) من حديث ابن عمر.

[١٠٧٠] أخرجه الطبري في «تفسيره» (٣/ ١٠٥) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٢٣١) من طريق ابن إسحاق.

[١٠٧١] إسناده حسن.

وقد صرَّح ابن إسحاق بالتحديث.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» (٣/ ١٠٥ـ١٠٦) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٢٣٢) كلاهما من طريق ابن إسحاق.

---

(١) سَجَّى ثَوْبَه، أي: غَطَّاهُ على وَجْهِهِ.

(٢) اسْتَحَثَّ راحِلَتَه، أي: اسْتَعْجَلَها.

ناقة النبي تضل فيقول المنافقون:

قال ابن إسحاق: ثم إنَّ رَسُولَ الله ﷺ سار حتى إذا كان ببعض الطريق ضلَّت ناقتُهُ، فخرج أصحابُهُ في طَلَبِهَا، وعند رسولِ الله ﷺ رجلٌ من أصحابه يُقال له: عُمَارة بن حَزْم، وَكان عَقَبِيّاً بَدْرِيّاً، وَهُوَ عَمُّ بني عَمْرو بن حزم، وكان في رَحْله زيدُ بن اللُّصَيْت الْقَيْنُقَاعِيُّ، وَكان منافقاً.

قال ابن هشام: ويُقال ابن لُصَيْب، بالباء.

[قال ابن إسحاق: فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لبيد، عن رجالٍ من بني عَبْدِ الأشهل، قالوا:] فقال زيد بن اللُّصَيْت وهو في رَحْل عُمَارة، وعُمارة عند رسولِ اللَّهِ ﷺ: أَلَيْسَ محمدٌ يَزْعمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، ويُخْبِركُم عن خبر السماء وهو لا يدري أين ناقته؟!! فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ وعمارةٌ عنده: «إِنَّ رَجُلاً قَالَ: هَذَا مُحَمَّدٌ يُخْبِرُكُمْ أَنَّهُ نَبِيٌّ وَيَزْعُمُ أَنَّهُ يُخْبِرُكُمْ بِأَمْرِ السَّمَاءِ وَهُوَ لاَ يَدْرِي أَيْنَ نَاقَتُهُ، وَإِنِّي ـ وَاللَّهِ ـ مَا أَعْلَمُ إِلاَّ مَا عَلَّمَنِي الله، وَقَدْ دَلَّنِي الله عَلَيْهَا، وَهِيَ فِي هَذَا الْوَادِي فِي شِعْبِ كَذَا وَكَذَا قَدْ حَبَسَتْهَا شَجَرَةٌ بِزِمَامِهَا، فَانْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُونِي بِهَا» فذهبوا فجاءُوا بها، فَرَجَعَ عُمَارةُ بن حزم إلىٰ رَحْلِهِ، فقال: والله، لَعَجَب من شيءٍ حَدَّثَنَاه رَسُولُ الله ﷺ آنفاً عن مقالةِ قائلٍ أخبره الله عنه بكذا وكذا، للذي قال زيد بن لُصَيْت، فقال رَجُلٌ ممن كان في رَحْلِ عُمَارة ولم يحضر رسولَ الله ﷺ: زَيْدٌ ـ والله ـ قال هذه المقالة قبل أن تَأْتِيَ، فأقبل عمارة على زيد يَجَأُ في[1] عُنُقِهُ ويقول: إِلَيَّ عِبَادَ الله، إن في رَحْلي لَدَاهِيَةً وما أشعر، اخْرُج أيْ عَدُوَّ الله من رحلي فلا تَصْحَبْنِي.

قال ابن إسحاق: فزعم بعضُ الناس أَنَّ زيداً تاب بعد ذلك، وقال بعضُ الناس: لم يزل مُنْهَماً بِشَرٍّ حتى هَلَكَ [١٠٧٢].

شأن أبي ذر:

ثم مضى رسولُ الله ﷺ سائراً، فجعل: يتخلَّفُ عنه الرجلُ، فيقولون: يا رسول الله، تخلَّف فلان، فيقول: «دَعُوهُ فَإِنْ يَكُ فِيهِ خَيْرٌ فَسَيُلْحِقُهُ الله (تَعَالَى) بِكُمْ، وَإِنْ يَكُ غَيْرَ

[١٠٧٢] أخرجه الطبري في «تاريخه» (٣/ ١٠٦) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٢٣١ـ٢٣٢) كلاهما من طريق ابن إسحاق.
وينظره «الإصابة» (٢/ ٥١١).

---

(١) يَجأُ في عُنُقِهِ، أي: يَدْفَعُ في عُنُقِهِ.

ذَلِكَ فَقَدْ أَرَاحَكُمُ اللَّهُ مِنْهُ» حتى قيل: يا رسولَ الله، قد تخلَّف أبو ذَرٍّ، وأبطأ به بعيرُهُ، فقال: «دَعُوهُ فَإِنْ يَكُ فِيهِ خَيْرٌ فَسَيُلْحِقُهُ اللَّه بِكُمْ، وَإِنْ يَكُ غَيْرَ ذَلِكَ فَقَدْ أَرَاحَكُمُ اللَّهُ مِنْهُ» وَتَلَوَّم أبو ذرٍّ عَلَىٰ بعيرِهِ، فَلَمَّا أبطأ عليه أَخَذَ مَتَاعَهُ فَحَمَلَهُ على ظَهْرِهِ، ثم خرج يَتْبَعُ أَثَرَ رسولِ الله ﷺ ماشياً، ونزل رسولُ الله في بعضِ مَنَازِلِهِ، فنظر ناظرٌ من المسلمين فقال: يا رسولَ الله، إن هذا لرجل يمشي على الطريقِ وَحْدَهُ، فقال رسولُ الله ﷺ: «كُنْ أَبَا ذَرٍّ» فَلَمَّا تأمله القومُ قالوا: يا رسولَ الله، هو والله أبو ذر، فقال رسولُ الله ﷺ: «رَحِمَ الله أَبَا ذَرٍّ، يَمْشِي وَحْدَهُ، وَيَمُوتُ وَحْدَهُ، وَيُبْعَثُ وَحْدَهُ» [١٠٧٣].

قال ابن إسحاق: فحدّثني بُرَيْدَة بن سُفْيان الأسلمي، عن محمد بن كَعْب الْقُرَظِي، عن عبد الله بن مسعود، قال: لَمَا نَفَى عثمان أبا ذَرٍّ إلىٰ الرَّبَذَة، وأصابه بها قَدَرُهُ، لم يكنْ معه أَحدٌ إلاَّ امرأته وغلامه، فَأَوْصَاهُمَا أَنِ اغْسِلاَنِي وَكَفِّنَانِي، ثم ضعاني عَلَىٰ قَارِعَةِ الطريقِ، فَأَوَّلُ رَكْبٍ يَمُرُّ بكم فقولوا: هذا أبو ذرٍّ صاحبُ رسولِ الله ﷺ فأعينونا على دَفْنِهِ، فَلَمَّا مات فَعَلا ذلك به، ثم وَضَعَاه على قَارِعَةِ الطريق، وأقبل عبدُ الله بن مسعود في رَهْطٍ من أهلِ العراقِ عُمَّار، فلم يَرُعْهُمْ إلاَّ بالجنازة (٢٥٤/أ) على ظهرِ الطريقِ قد كادتِ الإبلُ تَطَؤُهَا، وَقَامَ إليهم الغلامُ، فقال: هذا أبو ذر صاحبُ رسولِ الله ﷺ فأعينونا على دفنه، قال: فاسْتَهَلَّ عبدُ الله بن مسعود يَبْكِي، ويَقُولُ: صَدَقَ رَسُولُ الله ﷺ تَمْشِي وَحْدَكَ، وَتَمُوتُ وَحْدَكَ، وَتُبْعَثُ وَحْدَكَ، ثم نَزَلَ هو وأصحابه فَوَارَوْه، ثم حدثهم عبد الله بن مسعود حديثه وما قالَ له رسولُ الله ﷺ في مَسِيرِهِ إلى تبوك [١٠٧٤].

رسول الله يخبر عن مقالة المنافقين:

قال ابن إسحاق: وقد كان رَهْطٌ من المنافقين منهم وَدِيعةُ بْنُ ثابت أخو بني عَمْرو بن

[١٠٧٣] إسناده ضعيف.

أخرجه الحاكم (٣/ ٥٠) والطبري في «تاريخه» (٣/ ١٠٧) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٢٢١) وابن الأثير في «أسد الغابة» (٦/ ٩٧ـ٩٨) كلهم من طريق ابن إسحاق عن بريدة بن سفيان عن محمد بن كعب القرظي عن ابن مسعود به، وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وتعقَّبه الذهبي فقال: فيه إرسال.

قلت: محمد بن كعب القرظي عن ابن مسعود مرسل، ينظر «التهذيب» (٩/ ٤٢٠ـ٤٢٢).

وذكره الحافظ ابن حجر في «المطالب العالية» (٤/ ١١٦) رقم (٤١٠٩) وعزاه لإسحاق.

وينظر «البداية والنهاية» (٥/ ١٢ـ١٣).

وقال الحافظ ابن كثير بإسناده حسن.

قلت: وفيه نظر؛ لما تقدَّم.

[١٠٧٤] تقدَّم تخريجه.

وينظر الحديث السابق.

عوف؛ ومنهم رَجُلٌ من أَشْجَعَ حليف لبني سلمة يُقال له: مُخَشِّن بن حُمَيِّر (قال ابن هشام: ويُقال: مَخْشِيّ) يشيرون إلى رسولِ الله ﷺ وهو مُنْطَلِقٌ إلى تبوك، فقال بعضُهم لبعض: أَتَحْسِبُون جلادَ بني الأصفر كَقِتال العربِ بَعْضِهم بعضاً؟! واللَّهِ، لكأنَّا بكم غَداً مُقَرَّنين في الحبالِ؛ إرْجَافاً وتَرْهِيباً للمؤمِنين، فقال مُخَشِّنُ بن حُمَيِّر: واللهِ، لَوَدِدْتُ أني أقاضَى على أن يُضْرَبَ كلُّ [رجلٍ] منَّا مائةَ جلدةٍ وأنا نَنْفَلِت أن يَنْزل فينا قرآنٌ لِمَقَالَتِكُمْ هذه، وقد قَالَ رَسُولُ الله ﷺ ـ فيما بلغني ـ لعمار بن ياسر: «أَدْرِكِ الْقَوْمَ؛ فَإِنَّهُمْ قَدِ احْتَرَقُوا فَسَلْهُمْ عَمَّا قَالُوا، فَإِنْ أَنْكَرُوا فَقُلْ: بَلَى، قُلْتُمْ كَذا وَكَذَا» فانطلقَ إليهم عمار، فقال ذلك لهم، فأتوا رسولَ اللَّهِ ﷺ يَعْتَذِرُونَ إليه، فقال وديعة بن ثابت ورسول الله ﷺ وَاقِفٌ على ناقته، فجعل يقولُ وهو آخذ بِحَقَبِهَا[1]: يا رسولَ الله، إنَّما كنا نَخُوضُ وَنلعب، فَأنزل الله (عزَّ وجلَّ): ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ [التوبة: ٦٥] وقال مُخَشِّن بن حُمَيِّر: يا رسولُ الله، قَعَدَ بِي اسمى واسمُ أبي، وكان الذي عُفِيَ عنه في هذه الآية مُخَشِّن بن حُمَيِّر، فتسمَّى عبد الرحمٰن، وسأل الله (تعالىٰ) أن يَقْتُلَهُ شهيداً لا يعلم بمكانه، فَقُتِلَ يَوْمَ اليمامَةِ، فَلم يُوجَدْ لَهُ أَثَرٌ [١٠٧٥].

رسول الله يكتب أماناً لأهل أيلة:

ولما انتهى رسولُ الله ﷺ إلى تَبُوك أتاه يُحَنَّةُ بن رُؤْبَةَ[2] صاحبُ أَيْلَةَ، فَصَالَحَ رَسُول الله ﷺ، وأعطاه الجزيَةَ، وأتاه أهلُ جَرْبَاء وَأَذْرُح فَأَعْطَوْه الْجِزْيَةَ، فَكَتَبَ رَسُولُ الله ﷺ لهم كتاباً، فهو عندهم، فكتب ليُحَنَّةَ بن رؤبة: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ هٰذِهِ أَمَنَةٌ مِنَ اللَّهِ وَمُحَمَّدٍ النَّبِيِّ رَسُولِ اللَّهِ لِيُحَنَّةَ بْنِ رُؤْبَةَ وَأَهْلِ أَيْلَةَ سُفُنِهِمْ وَسَيَّارَتِهِمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، لَهُمْ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ وَمَنْ كَانَ مَعَهُمْ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ وَأَهْلِ الْيَمَنِ وَأَهْلِ الْبَحْرِ، فَمَنْ أَحْدَثَ مِنْهُمْ حَدَثاً، فَإِنَّهُ يَحُولُ مَالُهُ دُونَ نَفْسِهِ، وَإِنَّهُ طَيِّبٌ لِمَنْ أَخَذَهُ مِنَ النَّاسِ، وَإِنَّهُ لاَ يَحِلُّ أَنْ يُمْنَعُوا مَاءً يَرِدُونَهُ وَلاَ طَرِيقاً يُرِيدُونَهُ مِنْ بَرٍّ أَوْ بَحْرٍ» [١٠٧٦]

[١٠٧٥] أخرجه الطبري في «تفسيره» (٦/٤٠٨ـ٤٠٩) رقم (١٦٩٢٦) عن ابن إسحاق به.
وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٢٥٤) من حديث كعب بن مالك، وعزاه لابن إسحاق وابن المنذر وابن أبي حاتم.
وذكره أيضاً من حديث ابن عباس، وعزاه لابن مردويه.

[١٠٧٦] أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٢٤٧) من طريق ابن إسحاق به. =

---

(١) الحَقَبُ: حَبْلٌ يُشَدُّ على بَطْنِ البَعِير سِوَى الحِزام الذي يُشَدُّ فيه الرَّحْلُ.
(٢) يُحَنَّة بن رُؤْبَةَ: كذا وقع في الأصل، وَابنُ سِرَاجٍ يقول فيه: بَحْنَةَ حَيْثُ وَقَع.

بَعْثُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ خَالِدَ بْنَ الوَلِيدِ إِلَىٰ أُكَيْدِرِ دُومَةَ

ثم إِنَّ رسولَ الله ﷺ دعا خَالِدَ بْنَ الوليدِ، فبعثه إلى أُكَيْدِرِ دُومَةَ، وَهو أُكَيْدِرُ بن عبد الملك، رَجُلٌ من كِنْدَةَ كان مَلِكاً عليها، وكان عليها، وكان نَصْرَانيًا، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ لخالد: «إِنَّك (٢٥٤/ ب) سَتَجِدُهُ يَصِيدُ الْبَقَرَ» فخرج خالدٌ حتى إذا كان مِنْ حِصنِهِ بمَنْظَرِ العينِ وفي ليلةٍ مُقْمِرةٍ صائفةٍ، وهو على سَطْحٍ له ومعه امرأته، فباتتِ البقرُ تَحُكُّ بِقُرُونِهَا بابَ الْقَصْر، فقالت له امرأته: هل رَأَيْتَ مِثْلَ هذا قَطُّ؟ قال: لا والله، قالت: فمن يَتْرُك هذه؟ قال: لا أحد، فنزل فأمر بِفَرَسِهِ فَأُسْرِج له، وَرَكِبَ معه نَفَرٌ من أهلِ بيته فيهم أَخٌ لَهُ يُقال له حَسَّان، فركب وخرجوا معه بِمَطَارِدِهم، فلمَّا خَرَجُوا تَلَقَّتْهُمْ خَيلُ رسولِ الله ﷺ فَأَخَذَتْهُ، وقتلوا أخاه، وقد كان عليه قَبَاءٌ من دِيبَاجٍ مُخَوَّصٌ بالذهب، فاستلبه خالد، فَبَعَثَ به إلى رسولِ الله ﷺ قبل قدومه به عليه [١٠٧٧].

قال ابن إسحاق: فحدثني عاصم بن قتادة، عن أنس بن مالك، قال: رأيت قَبَاءَ أُكَيْدِرٍ حين قدم به على رسولِ الله ﷺ فجعل المسلمون يَلْمَسُونَهُ بأيدِيهم وَيَتَعَجَّبُونَ منه، فقال رسولُ الله ﷺ: «أَتَعْجَبُونَ مِنْ هٰذَا، فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَمَنَادِيلُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فِي الْجَنَّةِ أَحْسَنُ مِنْ هٰذَا» [١٠٧٨].

قال ابن إسحاق: ثم إِنَّ خالداً قدم بأُكَيْدِرٍ على رسولِ الله ﷺ، فَحَقَن لَه دَمَهُ وَصَالَحَهُ على الجِزيةِ، ثُم خَلَّىٰ سَبِيلَهُ، فَرَجَعَ إلىٰ قَرْيَتِهِ، فقال رَجُلٌ من طيءٍ يُقال له بُجَير بن بَجْرة

= وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/ ٢١) عن ابن إسحاق أيضاً.

[١٠٧٧] أخرجه الطبري في «تاريخه» (٥/ ١٨ـ١٩) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٢٥٠) كلاهما من طريق ابن إسحاق قال: حدَّثنا يزيد بن رومان وابن أبي بكر مرسلاً.

وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/ ٢١ـ٢٢) عن ابن إسحاق فذكره.

وله شواهد مرسَلة عن عروة وبلال بن يحيى، أخرجه البيهقي في «الدلائل» (٥/ ٢٥١ـ٢٥٣).

[١٠٧٨] إسناده حسن.

ومحمد بن إسحاق قد صرَّح بالتحديث.

وحديث أنس به شاهد من حديث البراء بن عازب، أخرجه البخاري (٧/ ١٥٣ـ١٥٤) كتاب مناقب الأنصار: باب مناقب سعد بن معاذ ـ حديث (٣٨٠٢) ومسلم (٤/ ١٩١٦) كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل سعد بن معاذ ـ حديث (١٢٩/ ٢٤٦٨) والترمذي (٥/ ٦٤٦) كتاب المناقب: باب مناقب سعد بن معاذ حديث (٣٨٤٧) وابن ماجه (١/ ٥٦ـ٥٧) المقدمة: باب فضل سعد بن معاذ ـ حديث (١٥٧) وابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٣/ ٤٣٥) وأحمد (٤/ ٢٨٩، ٣٠١، ٣٠٢) وأبو يعلى (٣/ ٢٧٣) رقم (١٧٣٠) والبغوي في «شرح السنة» (٧/ ٢٤٨).

يذكر قولَ رسولِ الله ﷺ لخالد «إِنَّكَ سَتَجِدُهُ يَصِيدُ الْبَقَرَ»: وما صنعت البقر تلك الليلة حتى استخرجته؟ لتصديق قولِ رسولِ الله ﷺ [من الوافر]:

تَبَارَكَ سَائِقُ الْبَقَرَاتِ إِنِّي ... رَأَيْتُ اللَّهَ يَهْدِي كُلَّ هَادِ
فَمَنْ يَكُ حَائِداً عَنْ ذِي تَبُوكٍ ... فَإِنَّا قَدْ أُمِرْنَا بِالْجِهَادِ[1] [١٠٧٩]

انبثاق الماء في الوادي لرسول الله:

فأقام رسولُ الله ﷺ بـ «تبوك» بِضْعَ عَشْرَةَ ليلةً لم يُجَاوِزها، ثم انصرف قافلاً إلىٰ المدينةِ، وكان في الطريقِ ماءٌ يَخْرُجُ من وَشَلٍ[2] مَا يُرْوى الراكب والراكبين والثلاثة، بوادٍ يُقال له: وَادِي الْمُشَقَّق، فقال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ سَبَقَنَا إِلَىٰ ذَلِكَ الْوَادِي فَلاَ يَسْتَقِيَنَّ مِنْهُ شَيْئاً حَتَّى نَأْتيه» قال: فَسَبَقَهُ إليه نَفَرٌ من المنافقين، فاسْتَقَوْا ما فيه، فلما أتاه رسولِ الله ﷺ وَقَفَ عليه، فلم يَرَ فيه شيئاً، فقال: «مَنْ سَبَقَنَا إِلَى هٰذَا الْمَاء»؟ فقيل له: يا رسولَ الله، فلان وفلان؛ فقال: «أَوَلَمْ أَنْهَهُمْ أَنْ يَسْتَقُوا مِنْهُ شَيْئاً حَتَّى آتيه»؟ ثم لعنهم رسولُ الله ﷺ، وَدَعَا عليهم، ثم نَزَلَ فَوَضَعَ يَدَهُ تحت الْوَشَل، فجعل يَصُبُّ في يده ما شاء اللَّهُ أَنْ يصبَّ، ثم نَضَحَه به، ومسح بيده، ودعا رسولُ الله ﷺ بما شاء الله أن يَدْعُوَ به، فَانْخَرَقَ من الماءِ كما يقولُ من سمعه ما إِنَّ لَهُ حِسًّا كحسِّ الصَّوَاعِق، فَشَرِبَ الناسُ، وَاسْتَقَوْا حَاجَتَهُمْ منه، فقال رسولُ الله ﷺ: «لَئِنْ بَقِيتُمْ أَوْ مَنْ بَقِيَ مِنْكُم لَتَسْمَعُنَّ بِهَذَا الْوَادِي وَهُوَ أَخْصَبُ مَا بَيْنَ يَدَيْه وَمَا خَلْفَهُ» [١٠٨٠].

قال: وحدَّثني محمّد بن إبراهيم بن الحرث التَّيْمي، أَنَّ عبد الله بن مسعود كان يُحَدّث، قال: قمتُ من جَوْفُ الليلِ (٢٥٥/أ)، وأنا مع رسولِ الله ﷺ في غزوة «تبوك»، قال فرأيت شُعْلَةً من نارٍ في ناحية العسكر، قال: فَأَتْبَعْتُهَا أَنْظُرُ إليها، فإذا رسولُ الله ﷺ

[١٠٧٩] أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٢٥٠ـ٢٥١) من طريق ابن إسحاق عن يزيد بن رومان وعبد الله بن أبي بكر مرسلاً.

[١٠٨٠] ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/ ٢٣) عن ابن إسحاق به.

وله شاهد من حديث معاذ بن جبل.

أخرجه مسلم (٤/ ١٧٨٤ـ١٧٨٥) كتاب الفضائل باب في معجزات النبي ﷺ ـ حديث (١٠/ ٧٠٦) وأحمد (٥/ ٢٣٨) وابن خزيمة (١٨) وابن حبان (٣/ ٦٢) والبيهقي في «الدلائل» (٥/ ٢٣٦ـ٢٣٧).

---

(١) ينظر البداية والنهاية (٥/ ٢٢).

(٢) يَخْرُج من وَشَل، الوَشَلُ: حَجَرٌ أوْ جَبَلٌ يَقْطُر منه الماءُ قليلاً قليلاً، والوَشَلُ أيضاً: القليلُ مِنَ المَاء.

وأبو بكر وعمر، وإذا عبد الله ذو الْبِجَادَيْنِ المزني قد مات، وإذا هم قد حَفَرُوا له، ورسولُ الله ﷺ في حُفْرَتِهِ، وأبو بكر وعمر يُدَلِّيَانه إليه، وهو يقول: «أَدْنِيَا إِلَيَّ أَخَاكُمَا» فَدَلَّيَاهُ إِلَيْهِ، فَلَمَّا هَيأه لشقِّه قال: يقول عبد الله بن مسعود: يا ليتني كنتُ صَاحِبَ الحفرةِ [١٠٨١].

قال ابن هشام: وإنما سُمِّي ذا الْبِجَادين؛ لأنه كان يُنازع إلى الإسلام فيمنعَه قومُه من ذلك ويُضَيِّقُون عليه، حتى تركوه في بِجادٍ ليس عليه غيره، والْبِجَاد: الكساءُ الغليظُ الجافي، فَهَرَبَ منهم إلى رسولِ الله ﷺ، فلما كان قريباً منه شَقَّ بِجَادَهُ باثنين، فائْتَزَرَ بواحدٍ، واشتمل بالآخر، ثم أتى رسولَ الله ﷺ، فقيل له: ذو البجادين لذلك، والبجاد أيضاً: الْمِسْحُ[1] [١٠٨٢].

قال ابن هشام: قال امرؤ القيس [من الطويل]:

كَأَنَّ أَبَانَا فِي عَرَانِينِ وَدْقِهِ كَبِيرُ أُنَاسٍ فِي بِجَادٍ مُزَمَّلِ[2]

شأن أبي رهم:

قال ابن إسحاق: وذكر ابن شهاب الزُّهْرِيُّ، عن ابن أُكَيْمَةَ الليثي، عن ابن أخي أبي رُهْم الْغِفَارِي، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَارُهْمَ كُلْثُومَ بن الْحُصَيْن، وَكَانَ من أصحابِ رسولِ الله ﷺ الذين بايعوا تحت الشَّجرةِ، يقول: غَزَوْتُ مع رسولِ الله ﷺ غَزْوَةَ «تَبُوك»، فسهرْتُ ذَاتَ ليلةٍ معه. ونحن بالأخضر قريباً من رسولِ الله ﷺ، وَأَلْقَىٰ الله علينا النُّعَاسَ، فطفقتُ أستيقظُ وقد دَنَتْ راحلتي من راحلةِ رسولِ الله ﷺ فَيُفْزِعُني دُنُوُّهَا منه؛ مخافةَ أَنْ أُصِيبَ رجلَهُ في الْغَرْز[3]، فطفقتُ أَحُوزُ[4] راحلتي عنه، حتى غلبتني عَيْنِي في بعضِ الطريقِ ونحن في

[١٠٨١] إسناده ضعيف لانقطاعه.

محمد بن إبراهيم الحارث التيمي لم يدرك ابن مسعود.

وأخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ١٢٢) من طريق ابن إسحاق.

وقال الحافظ في «الإصابة» (٤/ ١٣٩) رواه البغوي بطوله من هذا الوجه، ورجاله ثقات إلا أن فيه انقطاعاً. وهو كذلك في السيرة النبوية.

وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/ ٢٣ ـ ٢٤) من طريق ابن إسحاق به، وللحديث طرُق أخرى عند ابن مسنده كما في الإصابة يقوى بها الحديث.

[١٠٨٢] ينظر «حلية الأولياء» (١/ ٣٦٥) وأسد الغابة (٢/ ١٧٠) و«الإصابة» (٤/ ١٣٩).

---

(١) المِسْحُ: كساءٌ من شَعَر أسْوَدَ.

(٢) ينظر ديوانه ص (٢٥).

(٣) الغَرْزُ لِلرَّحْلِ: بمنزلة الرِّكاب للسَّرْجِ.

(٤) أحُوزُ عنه، أي: أُبْعِدُ.

بَعْضِ الليلِ، فزاحَمَتْ راحلتي راحلةَ رسولِ الله ﷺ ورِجْلُهُ في الْغَرْز، فما استيقظتُ إلاَّ بقولِهِ: «حَسٌ»[1]، فَقُلتُ: يَا رَسُولَ الله، اسْتَغْفِرْ لي فقال: «سِرْ» فَجَعَلَ رسولُ اللَّهِ ﷺ يَسْأَلُنِي عَمَّن تَخَلَّف من بَنِي غِفَار فَأُخْبِرُهُ به، فقال وهو يسألني: «مَا فَعَلَ النَّفَرُ الْحُمْرُ الطِّوَالُ الْقِطَاطُ»[2] فحدثته بِتَخَلُّفِهِمْ، قال: «فَمَا فَعَلَ النَّفَرُ السُّودُ الْجِعَادُ الْقِصَارُ» قال: قلتُ: وَاللَّهِ، مَا أعرفُ هؤلاءِ منَّا، قال: «بَلَى الَّذِينَ لَهُمْ نَعَمٌ بِشَبَكَةٍ[3] شَدْخٌ» فَتَذَكَّرْتُهُمْ في بني غفار، ولم أذكرهم حتى ذكرت أنهم رَهْطٌ من أسلم كانوا حلفاء فِينا، فقلتُ: يا رسول الله، أُولئك رَهْطٌ من أسلم كانوا حُلَفَاءَ فينا، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مَنَعَ أَحَدُ أُولَئِكَ حِينَ تَخَلَّفَ أَنْ يَحْمِلَ عَلَى بَعِيرٍ مِنْ إِبِلِهِ امْرَأً نَشِيطاً فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِنَّ أَعَزَّ أَهْلِي عَلَيَّ أَنْ يَتَخَلَّفَ عَنِّي الْمُهَاجِرُونَ مِنْ قُرَيْشٍ وَالْأَنْصَارُ وَغِفَار وَأَسْلَمُ» [١٠٨٣].

أَمْرُ مَسْجِدِ الضِّرَارِ عَنْدَ الْقُفُولِ مِنْ غَزْوَة «تَبُوكَ»

قال ابن إسحاق: ثم أَقْبَلَ رَسُولُ اللَّه ﷺ حتى نَزَلَ بـ «ذي أَوَان»[4] بلدٍ بينه وبين المدينة ساعَةٌ من نهارٍ، وكان أصحابُ مسجدِ الضِّرار قد كانوا أَتَوْهُ وهوَ يتجهَّزُ إلى «تبوك»، فقالوا: يا رسول الله (٢٥٥/ب)، إنَّا قد بَنَيْنَا مسجداً لِذِي العِلَّةِ والحاجةِ واللَّيلةِ المَطِيرَةِ واللَّيلةِ الشَّاتِيَةِ، وَإِنَّا نُحِبُّ أن تأتينا فَتُصَلِّي لنا فيه، فقال: «إِنِّي عَلَى جَنَاحِ سَفَرٍ وَحَالِ شُغْلٍ» أو كما قال ﷺ: «وَلَوْ قَدْ قَدِمْنَا ـ إِنْ شَاءَ الله ـ لأَتَيْنَاكُم فَصَلَّيْنَا لَكُمْ فِيهِ» فَلَمَّا

[١٠٨٣] إسناده ضعيف.

أخرجه أحمد (٤/ ٣٤٩ـ٣٥٠) والطبراني في «الكبير» (١٩/ ١٨٥) رقم (٤١٨) من طريق ابن إسحاق.

وأخرجه أحمد (٤/ ٣٤٩) والحاكم (٣/ ٥٩٣ـ٥٩٤) وعبد الرزاق (١٩٨٨٢) والبخاري في «الأدب المفرَد» رقم (٧٥٤) والطبراني في «الكثير» (١٩/ ١٨٣) رقم (٤١٥)، (٤١٦)، (٤١٧) وابن حبان (٧٢٥٧) والخطيب في «الكفاية» (ص ٤٠ـ٤١) والبزار (١٨٤٢ـ كشف) كلهم من طريق الزهري به.

والحديث ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ١٩٤) وقال: رواه البزار بإسنادين، وفيه ابن أخي أبي رهم ولم أعرفه، وبقية أحد الإسنادين ثقات.

والحديث ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/ ٢٤) من طريق ابن إسحاق.

---

(١) حسٌ، كَلِمَةٌ معناها: أَتَأَلَّمُ، يقولُها الإنْسَانُ إذَا أُصيب بِشَيْءٍ. قال الأصْمعيُّ: هو بمعنى: أوْهُ.

(٢) القِطَاطُ: هو جمع قُطٌّ وهو الصغيرُ نَبَاتِ شَعَر اللِّحْيَة.

(٣) الذين لهم نَعَمٌ بِشَبَكَةِ شَدْخ: جعل شَبَكَةَ مع ما أُضِيف إليه اسمَ مكانٍ. ورواه أبو عليّ بَشَبَكة شَدَخٌ قال: وتفسيرُهُ كثيرٌ. قال الشَّيْخُ الفقيه أبو ذرٍّ رضي الله عنه: وهو على هذه الرواية صِفَةٌ لِلنَّعم.

(٤) حتى نزل بذي أوَانٍ: كذا وقع في الأصْل بفتح الهمزة، والخُشَنِيُّ يرويه بضَمِّ الهَمْزَةِ حيثُ وَقَعَ.

نَزَلَ بـ «ذي أَوَانٍ» أتاه خَبَرُ المَسْجِدِ، فدعا رَسُولُ الله ﷺ مالك بن الدُّخْشُم أخا بني سالم بن عوف وَمَعْنَ بن عدي، أو أخاه عاصم بن عدي، أخا بني العجلان، فقال؛ «انْطَلِقَا إِلَىٰ هٰذَا الْمَسْجِدِ الظَّالِمِ أَهْلُهُ فَاهْدِمَاهُ وَحَرِّقَاهُ» فخرجا سَرِيعَيْنِ حتى أتيا بني سالم بن عوف، وهم رَهْطُ مالك بن الدُّخْشُم، فقال مالك لمعن: أَنْظِرِني حتى أخرج إليك بِنَارٍ مِنْ أَهْلِي، فَدَخَلَ إلى أهله، فأخذ سَعَفاً[1] من النَّخْلِ فَأَشْعَلَ فيه نَاراً، ثم خرجا يَشْتَدَّانِ حتى دَخَلاَهُ وفيه أَهلُهُ، فَحَرَّقَاهُ وَهَدَمَاه، وَتَفَرَّقُوا عنه، وَنَزَلَ فيهم من القرآنِ ما نزل: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٠٧] إلى آخر القِصَّةِ.

الذين بنوا مسجد الضرار:

وَكَان الذين بنوه اثنا عشر رجلاً:

خِذامُ بن خالد من بني عبيد بن زيد أحد بني عمرو بن عوف، ومن داره أُخْرِجَ مَسْجِدُ الشقاق، وثَعْلَبَةُ بن حاطب من بني أُمية بن زيد، ومُعَتِّبُ بن قُشير من بني ضُبَيْعَةَ بن زيد، وأبو حبيبة بن الأزعر من بني ضُبَيْعة بن زيد، وعَبَّادُ بن حُنَيْف أخو سَهْل بن حُنَيْف من بني عمرو بن عوف، وجاريةُ بن عامر، وابناه: مُجَمِّعُ بن جاريةَ، وزَيْد بن جارية، ونَبْتَلُ بن الحرث من بني ضبيعة، وبَحْزَجُ من بني ضبيعة وبِجَادُ[2] بن عثمان من بني ضبيعة، ووديعة بن ثابت، وهو من بني أُمية بن زيد رهط أبي لبابة بن عبد المنذر [١٠٨٤].

مساجد رسول الله:

وكانت مساجدُ رسولِ الله ﷺ فيما بين «المدينةِ» إلىٰ «تبوك» معلومةً مُسَمَّاةً: مَسْجِدٌ بـ «تبوك»، ومسجدٌ بـ «ثَنِيَّة مِدْرَان»، ومسجد بـ «ذات الزِّرَاب»، ومسجدٌ بـ «الأخضر»، ومسجدٌ بـ «ذات الْخِطْمِيِّ»، ومسجدٌ بـ «ألاء»، ومسجدٌ بـ «طرف الْبَتْرَاء» من ذَنَب

[١٠٨٤] أخرجه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٤٦٩ـ٤٧٠) رقم (١٧٢٠٠) من طريق محمد بن إسحاق عن الزهري ويزيد بن رومان وعبدالله بن أبي بكر وعاصم بن عمر بن قتادة وغيرهم فذكروه مرسلاً وقال البيهقي في «الدلائل» (٥/ ٢٦٠) بعدما ساق طرفاً منه: وذكر ابن إسحاق أسماء الذين بنوه وذكر فيهم ثعلبة بن حاطب وينظر «البداية والنهاية» (٥/ ٢٦ـ٢٧) و«سبل الهدى والرشاد» (٥/ ٤٧٠ـ٤٧١).

---

(١) السَّعَف: أغْصَانُ النَخْلَةِ.

(٢) بجَادُ بن عُثمانَ: رُوي هنا بالباءِ والنونَ، وَبِجَادٌ بالباء قَيَّده الدَّارَقُطْني.

كواكب، ومسجدٌ بـ «الشَّقّ» شق تَارَا، ومسجدٌ بـ «ذي الجِيفَةِ»، ومسجدٌ بـ «صَدْر حَوْضَى»، ومسجدٌ بـ «الحِجْرِ»، ومسجدٌ بـ «الصعيد»، ومسجدٌ بـ «الوادي»، اليوم وادي القرى، ومسجدٌ بـ «الرُّقْعَة» من الشُّقَّة شِقَّة بني عُذْرة، ومسجدٌ بـ «ذي الْمَرْوَة»، ومسجدٌ بـ «الْفَيْفَاء»، ومسجدٌ بـ «ذي خُشُبَ».

أَمْرُ الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا، وَأَمْرُ المُعَذِّرِينَ فِي غَزْوَةِ «تَبُوك»

النبي يأمر باعتزال النفر الثلاثة:

وقدم رسولُ الله ﷺ المدينةَ وقد كان تَخَلَّفَ عنه رَهْطٌ من المنافقين، وتخلَّفَ أُولئك الرهطُ الثلاثةُ من المسلمين من غيرِ شَكٍّ ولا نفاق: كَعْبُ بن مالك، ومُرَارَة بن الربيع، وهِلاَلُ بن أُمية، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «لاَ تُكَلِّمُنَّ أحداً مِنْ هٰؤُلاَءِ الثَّلاَثَةِ» وأتاه من تخلَّف عنه من المنافقين فَجَعَلُوا يَحْلفون له ويعتذرون، فصفح عنهم رسولُ الله ﷺ، ولم يعذرْهم الله ولا رسولُهُ، واعْتَزَلَ المسلمون كَلاَم أُولئك النَّفَرِ الثلاثةِ.

شأن كعب بن مالك أحد الثلاثة:

قال ابن إسحاق: فذكر الزُّهْرِيُّ محمد بن مسلم بن شهاب، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك، أن أباه عبد الله، وَكَانَ قَائِدَ أَبِيهِ حين أُصِيبَ بَصَرُهُ، قال: سمعتُ أبي كَعْبَ بن مالك يحدِّثُ حديثه حين تَخَلَّفَ عن (٢٥٦/أ) رسولِ الله ﷺ في غَزْوَةِ «تبوك»، وَحَدِيثَ صَاحِبَيْهِ، قال: ما تَخَلَّفْتُ عن رسولِ الله ﷺ غَزْوَةً غزاها قَطُّ، غير أَنِّي كُنْتُ قد تَخَلَّفْتُ عنه في غزوة «بدر»، وكانت غزوةً لم يُعَاتِبِ الله ولا رسولُهُ أحداً تخلف عنها، وذلك أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ إِنَّما خَرَجَ يُرِيدُ عِيرَ قُرَيْشٍ حتى جمع الله بينه وبين عَدُوِّهِ على غَيْرِ ميعادٍ، ولقد شهدتُ مع رسولِ الله ﷺ العَقَبَةَ حين تَوَاثَقْنَا على الإسلام، وما أُحِبُّ أَنَّ لي بها مَشْهَدَ «بدر»، وإن كانت غزوة «بدر» هي أَذْكَرُ في النَّاسِ منها قال: كان من خبري ـ حين تخلّفت عن رسولِ الله ﷺ في غزوة «تبوك» ـ أني لم أكن قَطُّ أقوىٰ ولا أَيْسَرَ مني حين تَخَلَّفْتُ عنه في تلك الغزوةِ، والله، ما اجْتَمَعَتْ لي راحلتان قَطُّ حتى اجْتَمَعَتَا في تلك الغزوة، وكان رسولُ الله ﷺ قَلَّمَا يُرِيدُ غزوة يغزوها إلاَّ وَرَّى بغيرِها، حتى كانت تلك الغزوة، فَغَزَاهَا رسولُ الله ﷺ في حَرٍّ شَدِيدٍ، واسْتَقْبَلَ سَفَراً بعيداً، واستقبل غَزْوَ عَدُوٍّ كَثِيرٍ، فَجَلَّىٰ للنَّاسِ أَمْرَهُمْ لِيَتَأَهَّبُوا لذلك أُهْبَتَه، وأَخبرهم خَبَرَهُ بوَجْهه الذي يُرِيدُ، والمسلمون مَنْ تَبِعَ رَسُول الله ﷺ كَثِيرٌ لاَ يَجْمَعُهُمْ كتابٌ حَافِظٌ، يعني بذلك الديوان، يَقُولُ: لاَ يَجْمَعُهُمْ دِيوَانٌ مَكْتُوبٌ.

قال كعب: فَقَلَّ رَجُلٌ يريدُ أن يَتَغَيَّبَ إلاَّ ظَنَّ أنه سَيَخفى له ذلك، ما لم ينزل فيه وَحْيٌ من الله، وغزا رسولُ الله ﷺ تلك الغزوة ـ حين طَابَتِ الثمارُ، وَأُجِبَّتِ الظِّلالُ ـ فالنَّاسُ إليها صُعْر[1] فتجهز رسولُ الله ﷺ وتجهز المسلمون معه، وجعلتُ أَغْدُو لأتجهَّز معهم فَأَرْجِعُ وَلَم أَقْضِ حَاجَةً، فأقولُ في نفسي: أنا قَادِرٌ على ذلك إِذَا أَرَدْتُ، فلم يَزَلْ ذلك يتمادىٰ بي حتى شَمَّرَ بالناس الجِدُّ فَأَصْبَحَ رسولُ الله ﷺ غادياً والمسلمون معه ولم أقض من جهازي شيئاً، فقلتُ: أَتَجَهَّزُ بعده بيوم أو يومين، ثم أَلْحَقُ بهم. فَغَدَوْتُ بعد أن فَصَلُوا لأَتَجَهَّزَ، فَرَجَعْتُ ولم أَقْضِ شيئاً، ثم غَدَوْتُ فرجعتُ ولم أقض شيئاً، فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى أسرعوا وَتَفَرَّطَ[2] الْغَزْوُ، فهممتُ أَنْ أَرْتَحِلَ فَأُدْرِكُهُمْ وليتني فَعَلْتُ، فلم أَفْعَلْ، وجعلتُ إذا خَرَجْتُ في النَّاسِ بعد خروج رسولِ الله ﷺ فطُفْتُ فيهم يُحْزنني أني لا أرىٰ إلاَّ رجلاً مَغْمُوصاً عليه[3] في النِّفَاقِ، أَو رَجُلاً ممن عَذَرَ الله مِنَ الضعفاءِ، ولم يذكرني رسولُ الله ﷺ حتى بلغ «تبوك»، فقال وهو جَالِسٌ في القوم بـ «تبوك»: «مَا فَعَلَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ» فقال رجلٌ من بني سلمة: يا رسولَ الله، حَبَسَهُ بُرْدَاهُ وَالنَّظَرُ في عِطْفَيْهِ، فقال له مُعَاذُ بنُ جَبَلٍ: بِئْسَ مَا قُلْتَ، والله يَا رَسُولَ الله، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ إلاَّ خَيراً، فَسَكَتَ رسولُ اللَّهِ ﷺ، فلما بلغني أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قد توجَّه قَافِلاً من «تبوك»، حَضَرَنِي بَثِّي[4]، فجعلتُ أَتَذَكَّرُ الكَذِبَ، وأقولُ: بماذا أَخْرُجُ مِنْ سَخْطَةِ رَسُولِ الله ﷺ غداً؟ وَأَسْتَعِينُ على ذلك كُلَّ ذِي رَأْيٍ مِنْ أَهْلِي؛ فَلَمَّا قِيلَ: إِنَّ رسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ أَظَلَّ[5] قادماً، زاح عني البَاطِلُ[6]، وعرفتُ أني لا أَنْجُو منه إلاَّ بالصدقِ، فَأَجْمَعْتُ أَنْ أَصْدُقَه، وَصَبَّح رسول (٢٥٦/ب) الله ﷺ المدينةَ، وكان إذا قدم من سفر بَدَأَ بالمسجدِ فَرَكَعَ فيه ركعتين ثم جَلَسَ للناس، فلمَّا فَعَلَ ذلك، جاءه المخلَّفون، فجعلوا يَحْلِفُونَ لَهُ وَيَعْتَذِرُونَ، وكانوا بضعةً وثمانين رجلاً، فيقبلُ منهم رسولُ الله ﷺ عَلاَنِيَتَهُمْ وأيمانَهم وَيَسْتَغْفِر لَهم وَيَكِلُ سَرَائِرَهُمْ إلىٰ الله (تعالى)، حتى جئت فَسَلَّمْتُ عليه، فتبسَّم تبسُّمَ الْمُغْضَبِ، ثم قال لي: «تَعَالَهْ» فجئتُ أمشي حتى جلستُ بين يديه، فقال لي: «مَا خَلَّفَكَ أَلَمْ تَكُنِ ابْتَعْتَ

---

(١) فالنَّاسُ إليها صُعرٌ: هو جمع أَصْعَرَ وهو المائِلُ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ أي: لا تُعْرِض عنهم ولا تُمِل وَجْهَكَ إلى جِهَةٍ أُخرى.

(٢) تَفَرَّطَ الغَزْوُ، أي: فَاتَ وَسَبَقَ، والفارِطُ: السَّابق المتقدِّمُ، ومنه قوله عليه السَّلام: «أنا فَرَطُكُمْ على الحَوْض».

(٣) مَغْمُوصاً عليه في النِّفَاق، أي: مطعوناً عليه؛ يُقال: غَمَصْتُ الرَّجُل: إذا طَعَنْتَ عليه.

(٤) حَضَرِني بَثِّي، البَثُّ: الحُزْنُ.

(٥) أَظَلَّ، أي: أشرف وقَرُبَ.

(٦) زاحَ عَنِّي الباطلُ، أي: ذَهَب وزالَ.

ظَهْرَكَ»؟ قال: قلتُ: إني يا رسولَ الله، والله لو جَلَسْتُ عند غَيْرِكَ مِنْ أهلِ الدنيا لَرَأَيْتُ أني سَأَخْرُجُ من سَخَطِهِ بِعُذْرٍ، لقد أُعْطِيتُ جَدَلاً، ولَكن والله، لقد علمتُ لَئِنْ حَدَّثْتُكَ اليوم حديثاً كَذِباً لَتَرْضَيَنَّ عني ولَيُوشِكن الله أن يسخطك عليَّ، ولئن حَدَّثْتُكَ حديثاً صدقاً تَجِدُ عَلَيَّ فيه إني لأرجو عُقْبَايَ من الله فيه، ولا والله ما كان لي عُذْرٌ، والله ما كنتُ قَطُّ أَقْوَىٰ ولا أَيْسَرَ مني حين تَخَلَّفتُ عنك، فقال رسولُ الله ﷺ: «أَمَّا هٰذَا فَقَدْ صَدَقَتْ فِيهِ، فَقُمْ حَتَّى يَقْضِيَ الله فِيكَ» فقمتُ وَثَارَ معي رِجَالٌ من بني سَلَمَة، فاتبعوني، فقالوا لي: والله، مَا عَلِمْنَاكَ كُنْتَ أَذْنَبْتَ ذَنْباً قَبْلَ هذا، ولقد عَجَزْتَ أَنْ لا تكون اعْتَذَرْتَ إلى رسولِ الله ﷺ بما اعتذر به إليه المخلَّفون، قد كان كافيك ذنبك استغفارُ رسولِ الله ﷺ لك، فوالله، ما زالوا بي حتى أَرَدْتُ أَنْ أَرْجِعَ إلىٰ رسولِ الله ﷺ فَأُكَذِّبَ نَفْسِي، ثم قلتُ لهم: هل لقي هذا أَحدٌ غيري؟ قالوا: نعم، رجلان قالا مِثْلَ مَقَالَتِكَ وقيل لهما مِثْلُ مَا قِيلَ لك، قال: قلتُ: مَنْ هُما؟ قالوا: مُرَارة بن الربيع الْعَمْرِي من بني عمرو بن عوف، وهِلاَلُ بن أُمية الواقفي، فذكروا لي رجلين صالحين فيهما أُسوةٌ، فَصَمَتُّ حين ذَكَرُوهُمَا لِي، وَنَهَى رسولُ الله ﷺ عَنْ كَلاَمِنَا أَيُّها الثلاثة من بين مَنْ تَخَلَّفَ عنه، فاجتنبنا النَّاسُ وَتَغَيَّرُوا لنا، حتى تَنَكَّرَتْ لِي نفسي وَالأرْضُ، فما هي بالأرضِ التي كُنْتُ أَعْرِفُ، فَلِبِثْنَا على ذلك خمسين ليلةً، فَأَمَّا صَاحِبَايَ فاسْتَكَانَا وَقَعَدَا في بُيُوتِهِمَا، وَأَمَّا أنا فكنتُ أَشَبَّ القوم وَأَجْلَدَهُم، فَكُنْتُ أَخْرُجُ وَأَشْهَدُ الصلواتِ مع المسلمين، وَأَطُوفُ بالأسْواقِ، ولا يكلمني أَحَدٌ، وآتي رسولَ اللَّهِ ﷺ فَأُسَلِّمُ عليه وهو في مَجْلِسِهِ بعد الصَّلاةِ، فأقُول في نفسي: هَلْ حَرَّكَ شفتيه بردِّ السَّلامِ عَلَيَّ أم لا؟ ثُم أُصلِّي قريباً مِنه، فَأُسَارِقُهُ النَّظَرَ، فَإِذا أَقْبَلْتُ على صلاتي نَظَرَ إِلَيَّ، وَإِذَا التفتُّ نحوه أَعْرَضَ عَنِّي، حتى إِذا طَالَ ذلك عليَّ مِنْ جَفْوَةِ المسلمين مَشَيْتُ حتى تَسَوَّرْتُ[1] جِدَارَ حَائِطِ أبي قتادة، وهو ابن عمي وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ فسلَّمْتُ عليه، فوالله ما ردَّ عليَّ السَّلام، فقلت: يا أبا قتادة، أُنْشِدُكَ الله، هل تَعْلَمُ أني أُحِبُّ الله ورسوله؟ فسَكت، فَعُدْتُ فَنَاشَدْتُهُ، فَسَكَتَ عني، فعدتُ فناشدتُهُ، فسَكتَ عَنِّي، فعدتُ فناشدتُهُ، فقال: الله ورسوله أعلم، ففاضت عيناي، ووَثَبْتُ فَتَسَوَّرْتُ الحَائِطَ، ثم غَدَوْتُ إلىٰ السُّوقِ، فبينا أنا أمشي بالسوقِ وإذا نَبَطِيٌّ[2] يَسْأَلُ عَنِّي من نبط «الشَّام» ممن قدم بالطعام يَبِيعُهُ بالمدينةِ، يقولُ: مَنْ يَدُلُّ على كَعْب بن مالك؟ قال: فَجَعَلَ النَّاسُ يُشيرون له إلي، حتى (٢٥٧/ أ) جاءني، فَدَفَعَ إِلَيَّ كتاباً من مَلِكِ «غَسَّان» وَكُنْتُ كِتَاباً في سَرَقَةٍ[3] من

---

(١) حتَّى تَسَوَّرْتُ، أي: عَلَوْتُ، ، وفي كتاب الله تعالى: ﴿إذ تسوّروا المحراب﴾.

(٢) النَّبَطُ: قومٌ من الأعاجم.

(٣) السَّرَقَةُ: الشُّقَّةُ من الحرير، وقال بعضُهُمْ السَّرَقُ أحسَنُ الحَرير وأجْوَدُهُ.

حرير، فإذا فيه: أما بَعْدُ؛ فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنَا أَنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ، وَلَمْ يَجْعَلْكَ اللَّهُ بِدَارِ هَوَانٍ ولا مَضْيَعَة، فَالْحَقْ بنا نُوَاسِك، قال: قلتُ ـ حين قرأتُها ـ: وهذا من البلاءِ أيضاً، قَدْ بَلَغَ بي ما وَقَعْتُ فيه أن طمع فيَّ رجلٌ من أهلِ الشركِ، قال: فعمدتُ بها إلى تَنُّور فَسَجَرْتُهُ[1] بها.

فأقمنا على ذلك حتى إذا مَضَتْ أربعون ليلةً من الخمسين إِذَا رسولُ رسولِ الله يأتيني، فقال: إِنَّ رسولَ الله ﷺ يَأْمُرُكَ أَنْ تَعْتَزِلَ امْرَأَتَكَ قال: قلت: أُطَلِّقُهَا أم ماذا؟ قال: لا، بل اعْتَزِلْهَا وَلاَ تَقْرَبْهَا، وَأَرْسَلَ إِلىٰ صاحبيَّ بمثل ذلك، فقلتُ لامرأتي: الْحَقِي بِأَهْلِكِ، فَكُوني عندهم حتى يَقْضِيَ الله في هذا الأمرِ ما هو قاضٍ[2].

قال: وَجَاءَتِ امرأةُ هلال بن أُمية رسولَ الله ﷺ، فقالتْ له: يا رسولَ الله: إِنَّ هلال بن أُمية شَيْخٌ كبيرٌ ضَائِعٌ لا خَادِمَ له، أَفَتَكْرَهُ أن أَخْدِمَهُ؟ قال: «لاَ، وَلٰكِنْ لاَ يَقْرَبَنَّكِ» قالت: والله يا رسول الله ما به مِنْ حَرَكَةٍ إِليَّ، والله مَا زَالَ يَبْكِي مُنْذَ كان من أَمْرِهِ ما كان إِلىٰ يَوْمِهِ هذا، ولقد تَخَوَّفْتُ على بَصَرِهِ، قال: فقال لي بَعْضُ أَهْلِي: لِو اسْتَأْذَنْتَ رسولَ الله لامْرَأَتِكَ؛ فقد أَذِنَ لامرأةِ هلال بن أُمية أَنْ تَخْدِمَهُ، قال: قلتُ: والله لا أستأذِنُهُ فيها، ما أدري ما يقولُ رسولُ الله ﷺ لي في ذلك إذا استأذنته فيها، وأنا رَجُلٌ شَابٌّ.

قال: فلبثنا بعد ذلك عشر ليالٍ، فَكَمُلَ لنا خمسون ليلةً من حين نهى رسولُ اللَّهِ ﷺ المسلمين عن كَلاَمِنَا، ثُم صَلَّيتُ الصُّبْحَ، صُبْحَ خمسين ليلة، عَلَى ظَهْرِ بيتٍ مِنْ بُيُوتِنَا على الحالِ التي ذَكَرَ الله مِنَّا: قَدْ ضَاقَتْ علينا الأرضُ بما رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي، وقد كنتُ ابتنيتُ خَيْمَةً في ظَهْرِ سَلْعٍ، فكنتُ أكون فيها؛ إِذْ سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ أَوْفَى على ظَهْرِ سَلْعٍ، يقولُ بأعلىٰ صَوْتِهِ: يَا كَعْبَ بن مالك، أَبْشِرْ، قال: فَخَرَرْتُ سَاجِداً، وَعَرَفْتُ

---

(١) فَسَجَرْتُهُ، أي: أَلْهَبتُ التَّنُّورَ بها، يعني: أنَّه حَرَّقَها.

(٢) قال الحافظ: إنما غلظ الأمر على كعب وصاحبيه وهوجروا؛ لأنهم تركوا الواجب عليهم من غير عذر؛ لأن الإمام إذا استنفر الجيش عموماً لزمهم النفير ولحق اللوم بكل فرد؛ أي لو تخلف، قال ابن بطال: إنما اشتد الغضب على من تخلف وإن كان الجهاد فرض كفاية لكنه في حق الأنصار خاصة فرض عين؛ لأنهم بايعوا على ذلك، ومصداق ذلك قولهم وهم يحفرون الخندق:

نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّدَا ... عَلَى الجِهَادِ مَا بَقِينَا أَبَداً

وكان تخلفهم عن هذه الغزوة كبيرة؛ لأنها كالنُّكثِ لبيعتهم/ قاله ابن بطال: قال السهيلي: ولا أعرف له وجهاً غير الذي قاله ابن بطال. قال الحافظ: قد ذكرت وجهاً غير الذي ذكره ولعله أقْعَد ويؤيده قوله سبحانه وتعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ﴾ الآية. وعند الشافعية: أن الجهاد كان فرض عين في زمنه ـ ﷺ ـ فعلى هذا فيتوجه العتاب على كل من تخلف مطلقاً. ينظر السبل (٥/ ٤٨٠ ـ ٤٨١).

أن قد جَاءَ الفَرَجُ، قال: وآذن رسول الله ﷺ للناسِ بتوبةِ الله علينا حِين صَلَّىٰ الفَجْرَ، فَذَهَبَ النَّاسُ يُبَشِّرُونَنَا، وَذَهَبَ نحو صاحبيَّ مبشرون وَرَكَضَ رَجُلٌ إليَّ فرساً، وسعى ساع من أَسْلَمَ حتى أَوْفَى على الجبلِ، فكان الصَّوْتُ أَسْرَعَ من الفرسِ، فلما جاءني الذي سمعتُ صوته يبشرني نَزَعْتُ ثوبَيَّ فَكَسَوْتُهمَا إيَّاه بِشَارَتَهُ، ووالله ما أملكُ يومئذٍ غَيْرَهُمَا، واستعرتُ ثوبين فَلَبَسْتُهُمَا، ثم انطلقتُ أَتَيَمَّمُ رسولَ الله ﷺ، وَتلقَّاني النَّاسُ يُبَشِّرُونني بالتوبةِ، ويقولون: لِتَهْنِكَ تَوبة الله عليك، حتى دخلتُ المسجدَ ورسولُ الله ﷺ جالسٌ حَوْلَهُ النَّاسُ، فَقَامَ إليَّ طلحةُ بن عبيد الله فَحيَّانِي وَهَنَّانِي، ووالله ما قام إليَّ رَجُلٌ من المهاجرين غَيْرُهُ، قال: فكان كعب بن مالك لا يَنْسَاهَا لطلحةَ، قال كعب: فلما سَلَّمْتُ على رسولِ الله ﷺ قال لي وَوَجْهُهُ يَبْرُقُ من السرورِ: «أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ (٢٥٧/ب) أُمُّكَ» قال: قلتُ: أَمِنْ عندك يا رسول الله، أم من عند الله؟ قال: «بَلْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ» قال: وكان رسولُ الله ﷺ إذا استبشر كأَنَّ وَجْهَهُ قِطعةُ قمرٍ، قال: وَكُنَّا نَعْرِفُ ذلك منه، قال: فلما جلستُ بين يديه قلتُ: يا رسولَ الله، إنَّ من توبتي إلى الله (عزَّ وجلَّ) أَن أَنْخَلِعَ مِنْ مَالِي صدقةً إلى الله وإلى رسولِهِ، فقال رسولُ الله ﷺ: «أَمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ» قال: قلت: إني ممسكٌ سَهْمي الذي بـ «خيبر»، وقلت: يا رسولَ الله، إنَّ الله قد نجاني بالصدق، وَإِنَّ من توبتي إلى الله أَنْ لا أُحَدِّثَ إلاَّ صِدْقاً ما حَيِيتُ، والله ما أعلم أحداً من النَّاسِ أبلاه الله في صدقِ الحديثِ منذ ذكرتُ لرسولِ الله ﷺ ذلك أفضل مما أبلاني، والله ما تَعَمَّدْتُ من كَذْبَةٍ منذ ذكرتُ ذلك لرسولِ الله ﷺ إلىٰ يومي هذا، وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقي، وَأَنْزَلَ الله تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا﴾ إلى قوله: ﴿وَكُونُوا مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٧، ١١٩] قال كعب: فوالله، ما أنعم الله عليَّ نعمةً قَطُّ ـ بعد أن هداني للإسلام ـ كانت أعظم في نفسي من صِدْقِي رسولَ الله ﷺ يومئذٍ، أن لا أكون كذبته فأهلك؛ كما هلك الذين كَذَبُوهُ؛ فإنَّ الله (تبارك وتعالى) قال في الذين كذبوه حين أَنْزَلَ الوَحْيَ شَرَّ ما قال لأحدٍ، قال: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾ [التوبة: ٩٥، ٩٦] قال: وَكُنَّا خُلِّفْنَا أيها الثلاثة عن أَمْرِ هؤلاء الذين قَبِلَ منهم رسولُ الله ﷺ حين حَلَفُوا له فعذرهم واسْتَغْفَرَ لهم، وَأَرْجَأَ رسولُ الله ﷺ أمرنا حتى قضى الله فيه ما قضى؛ فبذلك قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا﴾ [التوبة: ١١٨] وليس الذي ذكر الله من تخليفنا لتخلُّفنا عن الغزوةِ، ولكن

لتخليفِهِ إيانا وإرجائِهِ أَمْرَنَا عَمَّن حَلَفَ له واعتذر إليه فقبل منه [١٠٨٥].

أَمْرُ وَفْدِ «ثَقِيف» وَإِسْلاَمِهَا، فِي شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ تِسْعٍ

أمر عروة بن مسعود الثقفي:

قال ابن إسحاق: وقدم رسولُ الله ﷺ المدينةَ من «تَبُوكَ» في رمضان، وقدم عليه في ذلك الشهر وَفْدُ ثَقِيف، وكان من حَدِيثِهِمْ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ لمَّا انْصَرَفَ عنهم اتَّبَعَ أَثَرَهُ عُرْوَةُ بن مَسْعُود [الثَّقَفِيُّ] حتى أَدْرَكَهُ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إلىٰ المدينةِ، فَأَسْلَمَ، وسأله أَنْ يَرْجِعَ إلىٰ قَوْمِهِ بالإسلام، فقال له رسولُ الله ﷺ كما يَتَحَدَّثُ قَوْمُهُ: «إِنَّهُمْ قَاتِلُوكَ» وعرف رسولُ الله ﷺ أن فيهم نَخْوَةَ الامتناعَ الذي كان منهم، فقال عروة: يا رسولَ الله، أنا أَحَبُّ إليهم مِنْ أَبْكَارِهِمْ.

قال ابن هشام: وَيُقَالُ: من أَبْصَارِهِم.

قال ابن إسحاق: وكان فيهم كذلك مُحَبَّباً مطاعاً، فخرج يدعو قَوْمَهُ إلىٰ الإسلام؛ رَجَاءَ أَنْ لا يخالفوه لمنزلتِهِ فيهم، فَلَمَّا أَشْرَفَ لهم علىٰ عِلِّيَّةٍ له، وقد دعاهم إلى الإسلام، وَأَظْهَرَ لهم دِينَهُ؛ رَمَوْهُ بِالنَّبْلِ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ، فأصابه سَهْمٌ فَقَتَلَهُ، فتزعم بنو مالك أنه قتله رَجُلٌ منهم يُقال له: أَوْسُ بن عَوْف أخو بني سالم بن مالك، وتزعم الأحلافُ أنه قَتَلَهُ رَجُلٌ منهم (٢٥٨/ أ) من بني عَتَّاب بن مالك يُقال له: وهب بن جابر، فقيل لعروة: مَا تَرَىٰ في دَمِكَ؟ قال: كَرَامَةٌ أكرمني الله بها وشهادةٌ سَاقَها الله إليَّ؛ فليس فيَّ إلاَّ ما في الشُّهَدَاء الذين قُتِلوا مع رسولِ الله ﷺ قَبْلَ أَنْ يَرْتَحِلَ عَنكم، فَادْفِنُونِي معهم، فَدَفَنُوهُ معهم، فزعموا أَنَّ رسولَ الله ﷺ قال فيه: «إِنَّ مَثَلَهُ في قَوْمِهِ لَكَمَثَلِ صَاحِبِ «يس» فِي قَوْمِهِ».

[١٠٨٥] حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه حديث مشهور.

أخرجه البخاري (٦/ ٤١) كتاب الوصايا: باب إذا تصدّق أو وقف بعض رقيقه أو دوابه فهو جائز حديث (٢٧٥٧).

وأطرافه في (٢٩٤٧، ٢٩٤٨، ٢٩٤٩، ٢٩٥٠، ٣٠٨٨، ٣٥٥٦، ٣٨٨٩، ٣٩٥١، ٤٤١٨، ٤٦٧٣، ٤٦٧٦، ٤٦٧٧، ٤٦٧٨، ٦٢٥٥، ٦٦٩٠، ٧٢٢٥).

ومسلم (٤/ ٢١٢٠ـ٢١٢٩) كتاب التوبة: باب حديث توبة كعب بن مالك حديث (٥٣/ ٢٧٦٩) وأبو داود (٢/ ٢٦٢) كتاب حديث (٢٢٠٢) والترمذي (٥/ ٢٨١ـ٢٨٣) كتاب التفسير: باب ومن سورة التوبة حديث (٣١٠٢) والنسائي (٦/ ١٥٢ـ١٥٤) وعبد الرزاق (٩٧٤٤) وأحمد (٣/ ٤٥٤، ٤٥٦، ٤٦٠) والطبري في «تاريخه» (٣/ ١١١) وفي «تفسيره (٦/ ٥٠٥) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٢٧٣ـ٢٧٩) كلهم من حديث كعب بن مالك.

ثم أقامتْ «ثقيف» بعد قتل عُرْوَةَ أَشْهُراً، ثم إنهم ائتمروا بينهم، ورأوا أنه لا طَاقَةَ لهم بحَرْب مَنْ حَوْلَهُمْ من العربِ، وقد بايعوا وأسلموا [١٠٨٦].

اتفاق ثقيف على الدخول في الإسلام:

حدّثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخْنَس، أن عَمْرَو بن أُمَيَّةَ أخا بني عِلاَج كان مهاجراً لعَبْدِ يَالِيل بن عمرو، الذي بينهما سَيِّئ، وكان عمرو بن أمية من أَدْهَى العَرَبِ، فمشى إلى عَبْدِ يَالِيل بن عمرو حتى دَخَلَ دَارَهُ، ثم أَرْسَلَ إِلَيْهِ إِنَّ عمرو بن أمية يَقُولُ لك: اخْرُجْ إِليَّ، قال: فقال: عَبْدُ يَالِيل للرسول: ويلك!! أَعْمَرٌو أَرْسَلَكَ إِليَّ؟ قال: نعم، وها هو ذا وَاقِفاً فِي دَارِكَ، فقال: إن هذا لَشَيْءٌ ما كنتُ أَظُنُّهُ [بعمرو]، لَعَمْرٌو كان أمنع في نَفْسِهِ من ذلك، فَخَرَجَ إليه، فَلَمَّا رآه رَحَّبَ به، فقال له عمرو: إنه قد نَزَلَ بنا أمْرٌ ليست معه هِجْرَة، إنه قد كان من أَمْرِ هذا الرجلِ ما قد رَأَيْتَ، وقد أَسْلَمَتِ العربُ كلُّها، وليست لكم بحربهم طاقةٌ، فانْظُرُوا في أَمْرِكُمْ.

ثقيف ترسل عبد يَالِيل بن عمير على رأس وفد:

فعند ذلك ائْتَمَرَتْ ثقيف بينها، وقال بعضُهم لبعضٍ: أفلا ترون أنه لا يَأْمَنُ لكم سِرْبٌ[1] وَلاَ يَخْرُجُ منكم أَحَدٌ إِلاَّ اقْتُطِع، فأتمروا بينهم، وَأَجْمَعُوا أَنْ يرسلوا إلى رسول الله ﷺ رجُلاً، كما أرسلوا عُرْوَةَ، فَكَلَّمُوا عَبْدَ يَالِيل بن عمرو بن عمير، وكان سنَّ عُرْوَةَ بن مسعود، وعرضوا ذلك [عليه] فَأَبَى أَنْ يَفْعَلَ، وَخَشِيَ أَن يُصْنَعَ به - إذا رَجَعَ - كما صُنِعَ بعروة، فقال: لستُ فَاعِلاً حتى تُرْسِلوا معي رجالاً، فَأَجْمَعُوا أن يبعثوا معه رجلين من الأحلافِ وثلاثة من بني مالك؛ فيكونوا سِتَّةً؛ فَبَعَثُوا مَعَ عَبْدِ يَالِيل الْحَكَمَ بن

[١٠٨٦] أخرجه الطبري في «تاريخه» (٣/ ٩٦) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٣٠٤) كلاهما من طريق محمد بن إسحاق.
وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/ ٣٥-٣٦) عن ابن إسحاق.
وله شاهد مرسل عن عروة بن الزبير.
أخرجه الحاكم (٣/ ٦١٥-٦١٦) والطبراني في «الكبير» (١٧/ ١٤٧-١٤٨) رقم (٣٧٤) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٢٩٩).
وقال الهيثمي في «المجمع» (٩/ ٣٨٩): إسناده حسن وأخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٢٩٩) عن موسى بن عقبة.
وأخرجه الطبراني في «الكبير» (١٧/ ١٤٨) عن الزهري مرسلاً.

---

(١) السِّرْبُ: المالُ الرَّاعي. والسَّرْبُ أيضاً الطَّرِيقُ.

عمرو بن وهب بن مُعَتِّب، وَشُرَحْبِيلَ بن غيلان بن سلمة بن مُعَتِّب، ومن بني مالك: عثمانَ بن أبي العاص بن بِشْر بن عبد دُهْمَان أخا بني يَسَار، وَأَوْسَ بن عَوْف أخا بني سالم، وَنُمَيْرَ بن خَرَشَةَ بن ربيعة أخا بني الحرث، فَخَرَجَ بهم عَبْدُ يَالِيل، وهو نَابُ القوم[1] وَصَاحِبُ أَمْرِهِم، ولم يَخْرُجْ بِهِم إلاَّ خَشْيَةً من مثل مَا صُنِعَ بعروة بن مسعود، لكي يَشْغَلَ كل رَجُل منهم إذا رجعوا إلى الطائف رَهْطَهُ.

فَلَمَّا دنوا من المدينةِ وَنَزَلُوا قَنَاةَ أَلْقَوْا بها المغيرة بن شُعْبَةَ يَرْعَى في نوبتِهِ ركابَ أصحابِ رسولِ الله ﷺ، وكانت رِغْيَتُهَا نُوباً على أصحابِهِ ﷺ، فَلَمَّا رآهم تَرَكَ الركابَ عند الثقفيين وَضَبَرَ يشتدُّ[2] ليبشِّر رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِقُدُومِهِمْ عليه، فلقيه أبو بكر الصديق قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ علىٰ رسولِ الله ﷺ، فأخبره عن رَكْب (٢٥٨/ب) «ثقيف» أَنْ قَدْ قَدِمُوا يريدُونَ البيعةَ والإسلامَ بأن يَشْرِطَ لهم رسولُ الله ﷺ شُرُوطاً، ويكتبوا من رسولِ الله ﷺ كِتَاباً في قَوْمِهِمْ وبِلادِهِم وأموالِهم، فقال أبو بكر للمغيرة: أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ باللَّهِ، لا تَسْبِقْنِي إلىٰ رسولِ اللَّهِ ﷺ حتى أكونُ أنا أُحَدِّثُهُ، ففعل المغيرةُ، فَدَخَلَ أبو بكر على رسولِ الله ﷺ، فأخبرهِ بقُدُومِهِمْ عليه، ثم خَرَجَ المغيرةُ إلىٰ أصحابِهِ فَرَوَّحَ الظَّهْرَ معهم، وعلمهم كيف يُحَيُّونَ رسولَ اللَّهِ ﷺ، فَلَمْ يَفْعَلُوا إلاَّ بتحيةِ الجاهليَّةِ، ولما قدموا على رسولِ الله ﷺ ضَرَبَ عليهم قبةً في ناحيةِ مَسْجِدِهِ، كما يزعمون، فكان خالد بن سعيد بن العاص هو الذي يمشي بينهم وبين رسولِ الله ﷺ، حتى اكتتبوا كِتَابَهُمْ، وكان خالد هو الذي كَتَبَ كتابهم بِيَدِهِ، وكانوا لا يَطْعَمُونَ طعاماً يأتيهم من عند رسولِ الله ﷺ حتَّى يَأْكُلَ منه خالد، حتى أَسْلَمُوا وَفَرَغُوا مِنْ كِتَابِهِمْ، وقد كان فيما سألوه رسولَ الله ﷺ أَنْ يَدَعَ لهم الطاغيةَ وهي اللاَّتُ لا يهدمها ثلاثَ سنينٍ. فأبىٰ رسولُ الله ﷺ ذلك عليهم، فَمَا بَرِحُوا يسألونه سنةً سنةً، وَيَأْبىٰ عليهم، حتى سألوا شهراً واحداً بعد مَقْدَمِهِمْ، فأبىٰ عليهم أن يَدَعَهَا شيئاً مُسَمًّى، وإنما يُرِيدُونَ بذلك، فيما يُظْهِرُونَ، أن يَتَسَلَّمُوا بتركها من سُفَهَائِهِمْ وَنِسَائِهِمْ وَذَرَارِيهم، ويكرهون أن يُرَوِّعوا قَوْمَهُمْ بِهَدمِهَا حتى يَدْخُلَهُمُ الإسلامُ، فأبى رسولُ الله ﷺ عليهم، إلاَّ أَن يَبْعَثَ أبا سُفْيَان بن حرب والْمُغِيرة بن شُعْبة فَيَهْدِمَاهَا، وقد كانوا سألوه ـ مع تَرْكِ الطاغيةِ ـ أن يُعْفيهم من الصَّلاةِ، وَأَنْ لا يكسروا أَوْثَانَهُمْ بِأَيدِيهم، فقال رسولُ الله ﷺ: «أَمَّا كَسْرُ أَوْثَانِكُمْ بِأَيْدِيكُمْ فَسَنُعْفِيكُمْ مِنْهُ، وَأَمَّا الصَّلاَةُ فَإِنَّهُ لاَ خَيْرَ فِي دِينٍ لاَ صَلاَةَ فِيهِ» فقالوا: يا محمد، فَسَنُؤتِيكَهَا وَإِن كانت دَنَاءَةً.

---

(١) وهو نَابُ القَوْم، يَعْني: سَيِّدَ القَوْم والمُدَافِعَ عنهم.

(٢) ضَبَرَ يَشْتَدُّ، أيَ: وَثَبَ. يُقَالُ ضَبَرَ الفَرَسُ: إذَا جَمَعَ قَوَائِمَه وَوَثَبَ.

رسول الله يؤمر عليهم عثمان بن أبي العاص:

فلما أسلموا وَكَتَب لهم رسول الله ﷺ كِتَابَهُمْ أَمَّرَ عليهم عثمان بن أبي العاص، وكان من أحدَثِهم سِنًّا، وذلك أنه كان أحرَصَهُم على التَّفَقُّهِ في الإسلام وتَعلُّم القرآنِ، فقال أبو بكر لرسولِ الله ﷺ: يا رسول الله، إني قدَ رَأَيْتُ هذا الغلامَ منهم مِنْ أحرَصِهِمْ على التفقُّهِ في الإسلام وَتَعَلُّمِ القرآنِ [١٠٨٧].

فطر رسول الله وسحوره:

قال ابن إسحاق: وَحَدَّثني عيسى بن عبد الله، عن عطية بن سفيان بن ربيعة الثَّقَفِي، عن بَعْضِ وَفْدِهِمْ، قال: كَانَ بِلاَلٌ يأتينا ـ حين أسلمنا وَصُمْنَا مَعَ رسولِ الله ﷺ ما بقي من رمضان ـ بفِطْرِنَا[1] وسَحُورنا من عند رَسُولِ الله ﷺ، فيأتينا بالسَّحُور وَإِنَّا لَنَقُولُ: إِنَّا لَنَرَىٰ الفَجْرَ قَدْ طَلَعَ، فيقولُ: قد تركتُ رسولُ اللَّهِ ﷺ يَتَسَحَّرُ؛ لتأخيرِ السَّحُورِ، ويأتينا بفِطرِنَا وَإِنَّا لنقول: مَا نَرَىٰ الشَّمْسَ ذَهَبَتْ كُلُّها بعدُ، فيقُولُ: مَا جِئْتُكُمْ حتى أَكَلَ رسولُ الله ﷺ، ثم يَضَعُ يَدَهُ في الْجِفْنَة فَيَلْتَقِمُ منها [١٠٨٨].

قال ابن هشام: بفطورِنَا وسحورِنا.

قال ابن إسحاق: وحدَّثني سعيد بن أبي هند، عن مُطَرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير، عن عُثْمَانَ بْنَ أَبي (٢٥٩/أ) العَاصِ، قال: كَانَ مِنْ آخر ما عَهِدَ إِليَّ رسولُ الله ﷺ ـ حين بعثني على ثقيف ـ أَنْ قَالَ: «يَا عُثْمَانُ، تَجَاوَزْ فِي الصَّلاَةِ وَاقْدُرِ النَّاسَ بِأَضْعَفِهِمْ؛ فَإِنَّ فِيهِمُ الْكَبِيرَ وَالصَّغِيرَ وَالضَّعِيفَ وذَا الْحَاجَةِ» [١٠٨٩].

[١٠٨٧] أخرجه الطبري في «تاريخه» (٣/٩٧ـ٩٩) من طريق ابن إسحاق.
وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/٣٧ـ٣٨) عن ابن إسحاق.

[١٠٨٨] ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/٣٩) من هذا الوجه.
وأخرجه الطبراني في «الكثير» (١٧/١٦٩) رقم (٤٤٨) من طريق محمد بن إسحاق عن عيسى بن عبد الله عن عطية بن سفيان عن عبد الله قال: قدم وفد ثقيف على رسول الله ﷺ في رمضان فضرب لهم قبة في المسجد فلما أسلموا صاموا معه، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/٣١). وقال: وفيه محمد بن إسحاق، وهو مدلس وقد عنعن. أ.هـ.
وعيسى بن عبد الله شيخ ابن إسحاق مقبول يعني عند المتابعة وإلا فهو ليِّن الحديث كما نصَّ على ذلك الحافظ ابن حجر في مقدمة التقريب.

[١٠٨٩] إسناده حسن.

=

---

(١) قال ابنُ هِشام: الفَطور: هو الشيء الذي يُؤكَل؛ وكذلك السَّحور.

هدم الطاغية اللاّت:

قال ابن إسحاق: فَلَمَّا فَرَغُوا مِنْ أَمْرِهِمْ وَتَوَجَّهُوا إِلَىٰ بِلاَدِهِمْ رَاجِعِينَ بَعَثَ رسولُ اللَّهِ ﷺ مَعَهُمْ أَبَا سُفْيَان بْنَ حَرْبٍ والمغيرةَ بن شُعْبَة في هَدْم الطاغية، فَخَرَجَا مع القوم، حتى إذا قدموا الطائفَ أراد المغيرة [ابن شعبة] أن يُقَدِّم أبا سفيان، فأبى ذلك أبو سفيان عليه، وقال: ادْخُلْ أنت على قَوْمِكَ، وَأَقَامَ أبو سفيان بماله بذي الهدم، فلما دَخَلَ المغيرةُ بْنُ شعبة عَلاَهَا يَضْرِبُهَا بِالْمِعْوَلِ، وَقَامَ قَوْمُهُ دونه بنو مُعَتِّبٍ؛ خَشْيَةَ أن يُرْمَى أو يُصَابَ كما أُصِيبَ عُرْوَةُ، وَخَرَجَ نِسَاءُ ثقيف حُسَّراً[1] يَبْكِينَّ عليها، وَيَقُلْن: [من منهوك الرجز]

لَسْتُنَّ بَكَيْنَ دَفَّاعْ[2] أَسْلَمَهَا الرُّضَّاعْ[3] [١٠٩٠]
لَمْ يُحْسِنُوا الْمِصَاعْ[4]

قال ابن هشام: «لَتُبْكَيَنَّ» من غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: ويقول أبو سفيان والمغيرة يَضْرِبُهَا بالفاسِ: واهاً لَكِ[5] آهاً لَكِ، فَلَمَّا هَدَمَهَا المُغيرةُ وَأَخَذَ مالها وَحُلِيَّهَا، أَرْسَلَ إِلَىٰ أبي سفيان، وحُلِيُّهَا مجموعٌ وَمَالُهَا من الذهبِ والْحِزْع، وَقد كان أَبُو مليح بن عروة وقاربُ بن الأسود قَدِمَا عَلَى رَسُولِ الله ﷺ قَبْلَ وَفْدِ ثَقِيف ـ حين قُتل عروةُ ـ يريدان فراقَ ثقيفٍ، وأن لا يُجَامِعَاهم على شيءٍ أبداً، فأسلما، فقالَ لهما رسولُ اللَّهِ ﷺ: «تَوَلَّيَا مَنْ شِئْتُمَا» فقالا: نَتَولَّىٰ الله ورسولَهُ، فقال رسولُ الله ﷺ: «وَخَالَكُمَا أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ» فقالا: وَخَالَنَا أبا سفيان، فلما أسلم أهلُ الطائف وَوَجَّه رسولُ الله ﷺ أبا سفيان والمغيرةَ إلىٰ هَدْمِ الطاغيةِ، سَأَلَ رسولَ الله ﷺ أَبُو

= وأخرجه أحمد (٤/ ٢١) وابن ماجه (١/ ٣١٦) كتاب إقامة الصلاة: باب من أم قوماً فليخفِّف حديث (٩٨٧) والحميدي رقم (٩٠٥) وابن خزيمة (١٦٠٨) كلهم من طريق محمد بن إسحاق به.
وأخرجه أبو داود (٥٣١) والنسائي (٢/ ٢٣) وأحمد (٤/ ٢١، ٢١٧) من طريق مطرف عن عثمان بن أبي العاص به.

[١٠٩٠] أخرجه الطبري في «تاريخه» (٣/ ٩٩ـ١٠٠) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٣٠٤ـ٣٠٥) كلاهما من طريق ابن إسحاق به.
وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/ ٤٠) من طريق ابن إسحاق أيضاً.

---

(١) وَخَرَجَ نِساءُ ثَقِيفٍ حُسَّراً، يعني: مَكشوفاتِ الوُجُوهِ.
(٢) لَتُبْكَيَنَّ دُفَّاعْ: سَمَّيْنَهَا دُفَّاعاً؛ لأنَّها كانت تَدْفَعُ عنهم، وَتَنْفَعُ وتَضُرّ على زَعْمِهم.
(٣) الرُّضَّاعْ: اللِّئَامُ من قولهم لَئِيمٌ راضِعٌ.
(٤) المِصاعُ: المُضَارَبَةُ بالسُّيوف. وينظر البداية والنهاية (٥/ ٤٠).
(٥) وَاهاً لك: هي كَلِمَةٌ تُقَالُ في معنى التَّأَسُّفِ والتَّحَزُّنِ.

مُلَيح بْنُ عروة أن يَقْضِيَ عَنْ أبيه عُرْوَةَ دَيْناً كَانَ عليه مِنْ مَالِ الطاغيةِ، فقال له رسُولُ الله ﷺ: «نَعَمْ» فقال له قارب بن الأسود: وعن الأسود يا رسولَ اللَّهِ، فاقْضِهِ، وَعُرْوَةُ والأسود أخوان لأب وأُم، فقال رسولُ الله ﷺ: «إن الأسْوَدَ مَاتَ مُشْرِكاً» فقال قارب لرسولِ اللَّهِ ﷺ: يا رسولَ اللَّهِ، لكن تَصِلُ مسلماً ذا قرابةٍ، يَعْنِي: نَفْسَهُ، إنَّمَا الدَّيْنُ عَلَيَّ، وَإنَّما أَنَا الَّذِي أُطْلَبُ به، فَأَمَرَ رسولُ الله ﷺ أبا سفيان أَن يَقْضِي دَيْنَ عروةَ والأسودِ مِنْ مَالِ الطاغيةِ.

فَلَمَّا جمعَ المغيرةُ مَالَهَا قال لأبي سفيان: إنَّ رسولَ الله ﷺ قد أَمَرَكَ أن تَقْضِيَ عن عروةَ والأسودِ دَيْنَهُمَا، فَقَضَىٰ عنهما.

كتاب رسول الله:

وكان كتابُ رسولِ الله ﷺ الذي كتب لهم: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ، إنَّ عِضَاهَ[1] وَجِ[2] وَصَيْدَهُ لاَ يُعْضَدُ[3]، مَنْ وُجِدَ يَفْعَلُ شَيْئاً مِنْ ذٰلِكَ فَإنَّهُ يُجْلَدُ وَتُنْزَعُ ثِيَابُهُ، فَإنْ تَعَدَّى ذٰلِكَ فَإنَّهُ يُؤْخَذُ فَيُبْلَغُ بِهِ النَّبِيَّ مُحَمَّداً، وَإنَّ هٰذا أَمْرُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ (٢٥٩/ب) رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وكتب خالد بن سعيد بأمرِ الرسولِ محمد بن عبد الله، فَلاَ يَتَعَدَّهُ أَحَدٌ فَيَظْلِمَ نَفْسَهُ فِيمَا أَمَرَه بِهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ» [١٠٩١].

حَجُّ أَبِي بَكْرٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ بِالنَّاسِ، سَنَةَ تِسْعٍ

واختصاصُ النبيِّ ﷺ عليَّ بن أبي طالب (رضوان الله عليه) بتأديةِ أَوَّلِ «براءةٍ» عنه، وذكر «براءة»، وَ «الْقَصَص» في تفسيرها.

قال ابن إسحاق: ثُمَّ أَقَامَ رَسُولُ الله ﷺ بقيةَ شَهْرِ رمضان وشوالاً وذا القعدة، ثم بعث أبا بكر أميراً على الحجِّ من سَنَةِ تِسعٍ؛ لِيُقِيمَ للمسلمين حَجَّهم، والناسُ مِنْ أهلِ الشركِ على مَنَازِلِهِمْ من حَجِّهم؛ فَخَرَجَ أبو بكر (رضي الله عنه) ومن معه مِنَ المسلمين،

[١٠٩١] ينظر «الكامل» لابن الأثير (٦/ ٢٩٩) و«الدرر» في «اختصار المغازي والسير» (ص ٣٠٢) و«البداية والنهاية» (٥/ ٤٠ـ٤١).

---

(١) العِضَاهُ: شَجَرٌ له شَوْكٌ وهو أنواعٌ، واحِدَتُه: عِضَه.
(٢) وَجٌ: اسمُ مَوْضِعٍ بالطَّائف.
(٣) لا يُعْضَدُ، أي: لا يُقْطَع، يُقَالُ: عَضَدْتُ الشَّجَرَةَ: إذَا قَطَعْتَها.